١٩٦٢/٦/١٥

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى حفل افتتاح اللجنة الاقتصادية لدول ميثاق الدار البيضاء

■ **أيها الأصدقاء الأعزاء :**

إن اجتماعنا اليوم هنا فى القاهرة، يحمل معه بارقة أمل ظـاهرة لنضـال الشعوب المؤمنة، المستعدة بإرادتها أن تصنع أقدارها من جديد .

إن حكومة الجزائر الحرة، التى تجلس معنا الآن هنا لأول مرة بعد اتفاقيـة وقف إطلاق النار، وقبل أيام من موعد الاستفتاء فى الجزائر، تمثل هذه البارقـة من الأمل .

إن نضال الشعب الجزائرى واجه أهوالاً لا حدود لهـا؛ اسـتعمار يحكـم بالحديد والنار بطشاً وإرهاباً، مستوطنون جاءوا مـن وراء البحـر ليغتصـبوا الأرض من ملاكها الشرعيين .

لقد واجه الشعب الجزائرى حصاراً كاملاً بين هاتين القوتين؛ قوة الاستعمار التى زرعت المستوطنين، ثم قوة المستوطنين التى أرادت أن تخلع مـن التربـة الجزائرية بذور الكيان الوطنى الجزائرى .

ولقد شهدنا أياماً التقت فيها القوتان معاً؛ الاستعمار السـافر والمسـتوطنون أدواته، ودفع الشعب الجزائرى ثمن اللقاء، فقد أرادت القوتان اعتصـار أمانيـه بينهما .

ثم شهدنا أياماً حل فيها الخلاف محل اللقاء، ومرة أخرى كان الشعب الجزائرى هو الذى يدفع ثمن الخلاف نهشاً وتمزيقاً.

وكانت هناك فوق ذلك كله عوامل أخرى خطيرة، تجعل المعركة صعبة ومريرة؛ فإن المستعمر لم يكتف باحتلال الأرض الجزائرية، وإنما أراد أن يجعلها ميداناً لتجاربه الذرية. كذلك لم يكتف المستعمر بالسيطرة على المقومات المادية للشعب الجزائرى، وإنما مد يده إلى السيطرة على مقوماته الفكرية، فأراد أن يسلب شعب الجزائر لغته العربية، وعاء فكره الوطنى ومستودع تراثه القومى.

لكن شعب الجزائر، فى مواجهة هذه الصعاب، تقدم إلى جحافل الظلام فمزقها، وأزاحها عن وجه الشمس، لكى يسطع ضوؤها فوق أرض الجزائر بالحقيقة والحرية، وها نحن على وشك أن نرى حكومة الجزائر، التى قادت معركة الاستقلال من المنفى، تستعد للعودة إلى الوطن الجزائرى لتأكيد الحرية السياسية، حاملة معها فكراً اجتماعيًّا جديداً، تصل به الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية.

ولقد قصدت - أيها الإخوة - أن أطيل فى هذا الموضوع، والواقع إننى لم أكن أقصد منه مجرد إظهار حماسنا وتأييدنا للنتائج الباهرة، التى أسفر عنها الكفاح البطولى لشعب الجزائر؛ وإنما - وهذا هو الأهم - قصدت إلى إبراز المثل الحى الذى يقدمه النضال الجزائرى لكل الشعوب، التى مازالت الحرية فيها أسيرة فى أغلال القهر والكبت.

إن هذا المثل الجزائرى عظيم الدلالة بالنسبة لحركة التحرير الإفريقية خصوصاً، وبالنسبة لحركة التحرير الإنسانية الشاملة بشكل عام.

أيها الأصدقاء:

قبل أن أسلم رياسة هذه الدورة لاجتماعات اللجنة السياسية للميثاق الإفريقى إلى رئيس حكومة الجزائر، الصديق السيد بن يوسف بن خدة أستأذنكم فى

عرض سريع للخطوات التى حققتها الجهود، التى بـذلت وراء ميثـاق الـدار البيضاء .

من الناحية السياسية :

أمكن تحقيق تعاون كامل فى السياسة الخارجية لقوى الدار البيضاء، وتجلى هذا التعاون فى الأمم المتحدة وغيرها فى المحافل الدولية، وفضلاً عـن الأثـر الإيجابى، الذى أحدثه هذا التعاون مباشرة فيما اهتم بـه مـن قضـايا الحريـة والسلام، فلقد ساعد بطريق غير مباشر على تأكيد الشخصية الإفريقية، وعلـى تعزيز قدرة الحركات التحررية فى إفريقيا؛ إذ أصبحت هذه الحركات الوطنيـة تعرف أن لها من دول ميثاق الدار البيضاء حليفاً وسنداً .

من الناحية الاقتصادية :

لقد تم الوصول إلى اتفاقيات عديدة لها أهميتها ولها نتائجها دون شك، وفيها اتفاقيات إنشاء سوق إفريقية مشتركة، وإنشاء اتحاد إفريقى للمـدفوعات، وبنـك إفريقى، ومجلس للوحدة الاقتصادية الإفريقية، ومنظمة إفريقية للطيران المدنى، واتحاد إفريقى للبريد، عدا اتفاقيات التعاون الفنى والاقتصادى، والنقل البحرى، والمواصلات السلكية واللاسلكية .

من الناحية الثقافية :

وقعت دول الدار البيضاء اتفاقاً ثقافيًا بينها، كما وقعت معاهدة للتعاون الفنى والعلمى والإدارى .

من الناحية العسكرية :

شكلت دول الدار البيضاء هيئة أركان حرب إفريقية، تتبع القيادة الإفريقيـة المشتركة العليا .

ولقد دعم هذه الروابط الجماعية كلها، ما كان من اتجاه دول الدار البيضاء إلى توثيق التعاون الثنائى بينها؛ الأمر الذى أكد إصرار هذه الدول على التمسك بالميثاق الذى وقعته فى يناير من سنة ١٩٦١.

أيها الأصدقاء:

ولقد وقعت منذ اجتماع اللجنة السياسية فى دورتها الأولى أحداث كبيرة، شاركت فيها دول الدار البيضاء، وساهمت بأصدق الجهود.

لقد شاركت هذه الدول فى أعمال مؤتمر بلجراد للدول غير المنحازة فى سبتمبر سنة ١٩٦١، ومن محاسن الصدف أنه لما قرر المؤتمر إرسال وفدين إلى كل من واشنطن وموسكو، يحملون رسالة من أجل السلام، صادرة عن شعوب المؤتمر، معبرة عن ضمير غيرها من الشعوب، كان من نصيب الرئيس "موديبو كيتا" أن شارك فى حمل الرسالة إلى واشنطن، كما شارك الرئيس "كوامى نكروما" فى حمل نفس الرسالة إلى موسكو، كذلك فإن دولاً من مجموعة الدار البيضاء شاركت إيجابيًّا فى أعمال مؤتمر نزع السلاح فى جنيف، وبذلت جهوداً مخلصة؛ من أجل تقريب يوم هذا الهدف الإنسانى المفعم باحتمالات الأمل.

أيها الإخوة:

على أنه من واجبنا أن نواجه جانب الصورة الآخر؛ إن أمامنا فى إفريقيا مشاكل خطيرة ومعقدة، مازال هناك ما يقرب من خمسين مليوناً فى إفريقيا يعيشون تحت سيطرة الاستعمار وقواعده العسكرية.

ومازالت هناك ثروات إفريقية ليست لها حدود مغتصبة من أصحابها، نهباً للمستوطنين أو لشركات الاحتكارات الأجنبية، مازالت هناك فى إفريقيا مخالفات خفية، تمثل القوى الخارجة على القانون والحق من دعاة التمييز العنصرى

كحكومة جنوب إفريقيا، من دعاة الانفصال كحكومة كاتنجا، من أدوات التسلل الاستعمارى كإسرائيل.

ومازالت هناك فوق هذا كله وبعده مشاكل التخلف الطويل، الذى أرغمت عليه شعوب القارة، الذى يواجهها اليوم كأنه سد منيع، يتعين عليها اقتحامه برغم كل التضحيات؛ لكى تصل إلى الآفاق المترامية بالآمال الواسعة للنصف الثانى من القرن العشرين.

وإذا كان من واجبنا أن نبذل كل التضحيات لمغالبة التخلف، فإنه من حقنا فى نفس الوقت أن نطلب له جهود كثيرين غيرنا، لا يملكون وحدهم احتكار الرخاء، لأن العالم لا يستطيع أن يعيش بسلام وبعض سكانه من الأغنياء وأغلبيتهم من المحرومين.

أيها الأصدقاء:

إنه ما من جدال فى أن التغلب على التخلف واقتحام الطريق إلى التقدم هو التحدى الكبير، الذى ينتظر كل الجهود الخلاقة لشعوبنا ولغيرها من الشعوب المتطلعة إلى غد فيه الكرامة والرفاهية للإنسان الحر، القادر على دعم آماله بالعمل المتواصل، الذى لا يعرف التوقف بسبب التعب أو الملل.

وإنه ليسعدنا أن جاء اجتماعكم هنا فى وقت، استطاعت فيه التجربة الثورية اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا لشعب الجمهورية العربية المتحدة، أن تبلور فيه دليل عمل استخلص مناهجه من الممارسة الواقعية للحرب الباسلة، ضد التخلف بجميع أنواعه، هذه الحرب التى يخوض شعبنا غمارها منذ سنوات طويلة بتصميم وعزم وإصرار، وإرادة مؤمنة بإمكانية التغيير، قادرة على تحريك طاقات دافعة لفتح طريقه.

ولقد سمحت لنفسى - أيها الأصدقاء - أن أطلب إلى سكرتارية المؤتمر أن تقدم لكل منكم نسخة من مشروع ميثاق العمل الوطن، الذى بلورته التجربة

الثورية لشعبنا، وصاغته من مجابهتها للواقع، ومن تطلعاتها الواسعة إلى آمال إنسانية كبرى.

ومع أن هذا المشروع لا علاقة له بما اجتمعنا من أجله هنا، فلقد أحسست - دون أن أقدر على التحديد إن كان ذلك واجباً علينا أو هو حق لنا - أنه من الملائم أن تكون لدينا جميعاً صورة من أفكار الآخرين، فإن المشاركة فى حصيلة التجارب ذخيرة مشتركة للشعوب، خصوصاً تلك التى تواجه نفس المشاكل، وتعيش نفس الظروف.

أيها الأصدقاء:

لقد أسعد شعب الجمهورية العربية المتحدة، أن أتيحت له الفرصة لاستضافتكم فى بيته، والترحيب بكم ممثلين لشعوب صديقة عزيزة شريكة فى النضال من أجل التقدم، شريكة فى العمل من أجل السلام، شريكة فى إيمانها بشرف الإنسان وعزته.

١٩٦٢/٦/١٨

حديث الرئيس جمال عبد الناصر

إلى مندوب صحيفة "الصنداى تايمز"

"دافيد مورجان :" لقد مضت الآن عشر سنوات؛ منذ أن قام نحو تسعين من ضباط الجيش المصرى بإنهاء النظام الإقطاعى فى وطنهم، وبالاستيلاء على السلطة فى بلادهم بين يوم وليلة؛ بعد انقلاب كاد أن يكون بلا قطرة من الدماء. وقد كانت هذه السنوات العشر سنوات من الثورة المستمرة، ومن التغيير المتصل، وهذه العملية التاريخية لا تزال مطردة؛ لكن لعل الوقت الحالى هو أنسب الأوقات للتطلع إلى الخلف؛ لا إلى أحداث هذه السنوات العشر الأخيرة وحدها، بل إلى ما أبعد من ذلك.. إلى بداية تكون الإحساسات الثورية لديكم .

الرئيس : كثيراً ما سُئِلْتُ هذا السؤال : متى أصبحت ثورياً لأول مرة؟ وهو سؤال تستحيل الإجابة عليه؛ فهذا الشعور أملته ظروف تكوينى وتنشئتى، وغذاه شعور عام بالسخط والتحدى؛ اجتاح كل أبناء جيلى فى المدارس والجامعات، ثم انتقل إلى القوات المسلحة .

وما زلت أذكر بوضوح أول صدام لى مع السلطة.. كان ذلك فى سنة ١٩٣٣، وكنت يومئذ تلميذاً فى الإسكندرية لم أبلغ بعد الخامسة عشرة من عمرى، وكنت أعبر ميدان المنشية فى الإسكندرية حين وجدت اشتباكاً بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات من البوليس، ولم أتردد فى تقرير

موقفى؛ فلقد انضممت على الفور إلى المتظـــاهرين، دون أن أعـــرف أى شىء عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله، ولقد شعرت أننى فـــى غير حاجة إلى سؤال؛ لقد رأيت أفراداً من الجماهير فى صدام مع السلطة، واتخذت موقفى دون تردد فى الجانب المعادى للسلطة .

ومـــرت لحظات سيطرت فيها المظاهـــرة على الموقـــف؛ لكن ســـرعان ما جاءت إلى المكان الإمدادات؛ حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة، وهجمت علينا جماعتهم، وإنى لأذكر أنى - فى محاولـــة يائســـة - ألقيت حجراً، لكنهم أدركونا فى مثل لمح البصر، وحاولـــت أن أهـــرب، لكنى حين التفتُ هَوَتْ على رأسى عصا من عصى البوليس، تلتها ضربة ثانية حين سقطت، ثم شحنت إلى الحجز والدم يسيل من رأسى مع عـــدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإفلات بالسرعة الكافية .

ولما كنت فى قسم البوليس، وأخذوا يعالجون جراح رأسى؛ ســـألت عـــن سبب المظاهرة؛ فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة فى ذلك الوقت؛ للاحتجاج على سياسة الحكومة .

وقد دخلت السجن تلميذاً متحمساً، وخرجت منـــه مشـــحوناً بطاقـــة مـــن الغضب، وقد مضى بعد ذلك زمن طويل قبل أن تتبلور أفكارى ومعتقداتى وخططى، ولكن حتى فى هذه المرحلة الباكرة كنت أعلم أن وطنى يخوض صراعاً متصلاً من أجل حريته .

"مورجان :"سيدى الرئيس.. ماذا عن نشأتك الأولى وجو الأسرة الذى عشـــت فيه مرحلة الطفولة؟

الرئيس :إننى الابن الأكبر لأسرة مصرية من الطبقة المتوسطة الصغيرة، وقـــد كان أبى موظفاً صغيراً فى مصلحة البريد، يبلغ مرتبـــه الشـــهرى نحـــو عشرين جنيهاً، وهو مرتب يكفى بصعوبة لسد ضرورات الحياة .

وقد ولدت فى الإسكندرية؛ لكن ذكرياتى الأولى تدور حول قرية الخطاطبة، وهى قرية تقع بين القاهرة والإسكندرية؛ حيث كان أبى يعمل وكيلاً للبوسطة، وكنا دائماً أسرة سعيدة يحكمها أبى، ولكن القوة الحافظة فيها كانت أمى التى كنت أنا وإخوتى نتفانى فى حبها .

وكان أبى قلقاً بسبب آرائى السياسية حتى فى أيام التلمذة؛ فقد سجن أخوه أيام الحرب العالمية الأولى بتهمة الإثارة السياسية، ولذا كانت مخاوفه أن يحل بى ما حلّ بعمى مخاوف طبيعية؛ فقد كان أمله أن نحيا جميعاً حياة آمنة بعيدة عن المزعجات .

ولكنى بعد اشتراكى فى المظاهرة السياسية الأولى دخلت الميدان بكل جوارحى، وأصبحت رئيس لجنة لتنظيم المقاومة، ولا سيما مقاومة السيطرة الأجنبية، وكنا نجوب شوارع الإسكندرية بالمظاهرات الساخطة، ولقد كان ذلك متنفساً لابد منه لعواطفنا الحادة؛ ولشعورنا بالكبت الذى يضغط على وطننا .

وفى نهاية الأمر ضاق المسئولون فى المدرسة ذرعاً بنشاطى، ونبَّهوا أبى؛ فأرسلنى إلى القاهرة لأعيش مع عمى، وألتحق بمدرسة أخرى هناك .

"مورجان :"لقد ذكر عدد كبير من الذين تعرضوا لكتابة قصة حياتكم أن مشاعركم الأولى المعادية لليهود تكونت هذه الفترة؛ فلقد كانت فى نفس البيت الذى يسكنه عمكم بعض الأسر اليهودية؟

الرئيس : هذا رأى أبعد ما يكون عن الحقيقة؛ فأنا لم أكن فى أى يوم من الأيام معادياً للسامية على المستوى الشخصى، ومن العسير على أى مصرى متعلم أن يكون كذلك. لقد كانت بيننا وبين اليهود – كشعب – روابط عديدة؛ فموسى نفسه كان مصريًّا، وشعورى المعادى لإسرائيل وأعمالى الموجهة ضدها؛ إنما تولدت فيما بعد من شىء واحد لا سواه؛ وهو الحركة الصهيونية التى اغتصبت جزءاً من الأرض العربية .

"مورجان :"إن الذين كتبوا تاريخكم أيضاً يقولون إنه فى تلك الفترة وقعت لكم صدمة نفسية !

الرئيس : ذلك صحيح، ففى تلك الفترة حدث لى حادث أثر فى عواطفى أكثر من أى شىء آخر فى تلك السنوات الباكرة.. فقد كان أبى مصرًّا على معارضة مشاعرى وأعمالى الثورية، أما أمى فقد كانت تنظر إلى السياسة نظرها إلى شىء لا يعنيها، وكانت العلاقة القائمة بيننا هى مجرد علاقة الحب الخالص الذى يربط بين الأم وولدها .

ولم أكن أفرط فى رحلاتى لزيارة أسرتى، لكن حين انقطعت أنباء أمى فترة من الزمن سافرت لزيارة الأسرة، ولما بلغت البيت لم أجد لها أثراً، وعلمت أنها قد ماتت قبل ذلك بأسابيع، ولم يجد أحد الشجاعة الكافية لإبلاغى بموتها، ولكنى اكتشفت موتها بنفسى بطريقة هزت كيانى .

وعدت لفورى إلى القاهرة؛ حيث كرست نفسى لنشاطى السياسى بصورة أعنف من ذى قبل، وخفف الزمن صدمتى، ولكننى ظللت مبتعداً عن أسرتى لعدة سنوات؛ فقد كان فقد أمى فى حدّ ذاته أمراً محزناً للغاية، أما فقدها بهذه الطريقة فقد كان صدمة تركت فى شعوراً لا يمحوه الزمن، وقد جعلتنى آلامى وأحزانى الخاصة فى تلك الفترة أجد مضضاً بالغاً فى إنزال الآلام والأحزان بالغير فى مستقبل السنين .

"مورجان :"إن بعض المؤرخين يقولون إن بحثكم عن مجال للعمل السياسى قادكم إلى محاولة واسعة لاستكشاف الأحزاب السياسية العاملة فى مصر ذلك الوقت .

الرئيس : فى سنوات التكوين هذه شغلت اهتمامى كل الأحزاب السياسية التى كان هدفها الأول أن ترد للشعب المصرى حريته، وقد انضممت مدة عامين بعد مظاهرة الإسكندرية إلى جماعة مصر الفتاة، ولكنى تركتها بعد أن اكتشفت أنها رغم دعواها العالية لا تحقق شيئاً واضحاً .

وقد فوتحت فى عدة مناسبات للانضمام للحزب الشيوعى، لكنى رغم دراستى للمذهب الماركسى، ولكتابات "لينين"؛ وجدت أمامى عقبتين أساسيتين.. عقبتين كنت أعلم أنه لا سبيل إلى التغلب عليهما؛ العقبة الأولى هى أن الشيوعية فى جوهرها ملحدة؛ وقد كنت دائماً مسلماً صادقاً، أؤمن إيماناً لا يتزعزع بوجود قوة فوق البشر؛ هى الله، الذى يهيمن على كل مصائرنا، ومن المستحيل على أى إنسان أن يكون مسلماً صادقاً وشيوعياً صادقاً.

أما العقبة الثانية فهى أنى أدركت أن الشيوعية معناها بالضرورة سيطرة من نوع ما من الأحزاب الشيوعية العالمية، وهذا أيضاً ما كنت أرفضه رفضاً باتاً، وقد كان كفاحى وكفاح زملائى طويلاً وشاقاً لانتزاع السلطة من الطبقات الإقطاعية، ولتحطيم السيطرة الأجنبية على مصر، ولتحقيق بلادنا الاستقلال الصادق الذى كانت تحتاج إليه احتياجها إلى أنفاس الحياة؛ وعلى هذا فلقد كان مجرد الظل لسيطرة أجنبية أمراً لا أستطيع أن أقبله.

وقد كانت لى اتصالات متعددة بالإخوان المسلمين؛ رغم أنى لم أكن قط عضواً فى هذه الجماعة، وأحسست بقوة زعيمهم المرشد العام حسن البنا، وهنا أيضاً وجدت أمامى صعوبات دينية؛ فقد كان تصرف الإخوان المسلمين ضرباً من التعصب الدينى، وما كنت أرضى لا بإنكار عقيدتى ولا بأن تحكم بلادى طائفة متعصبة. كنت واثقاً من أن التسامح الدينى لابد أن يكون ركناً أساسيًّا من أركان المجتمع الجديد، الذى كنت أرجو أن أراه قائماً فى بلادى.

وتبلورت مشروعاتى لمستقبلى بعد عقد المعاهدة المصرية - الإنجليزية عام ١٩٣٦؛ التى نجم عنها أن حكومة الوفد أصدرت مرسوماً يقضى بفتح الكلية الحربية للشبان؛ بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم، وكنت أنا - مع نفر من الآخرين الذين ظلوا فيما بعد رفقاء حميمين - من

بين أول من استطاعوا الانتفاع من هذا الوضع، فالتحقت بالجيش بعد أن كنت أدرس فى كلية الحقوق .

وتخرجت بعد سنتين فى ١٩٣٨ من الكلية الحربية بالعباسية برتبة ملازم ثان، وفى نفس السنة تخرج اثنان من الضباط هما : زكريا محيى الدين، ومحمد أنور السادات؛ اللذان اقترن اسماهما فيما بعد اقتراناً وثيقاً بقصة الثورة .

كان الجيش المصرى – حتى ذلك الوقت – جيشاً غير مقاتل، وكان من مصلحة البريطانيين أن يبقوه على حاله، أما بعد ذلك فقد بدأت تدخل طبقة جديدة من الضباط، الذين كانوا ينظرون إلى مستقبلهم فى الجيش بوصفه مجرد جزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم. وعُيِّنا ثلاثتنا فى حامية منقباد، وهى حامية بعيدة بالقرب من أسيوط فى الصعيد. وذهبنا إلى منقباد تملؤنا المثل العليا، ولكن سرعان ما أصبنا بخيبة الأمل؛ فقد كان أكثر الضباط عديمى الكفاءة وفاسدين، وقد دفعت الصدمة بعض زملائى من الضباط إلى حد الاستقالة. أما أنا فلم أر جدوى من الاستقالة؛ رغم أن سخطى كان لا يقل عن سخط الآخرين، واتجه تفكيرى بدلاً من ذلك إلى إصلاح الجيش وتطهيره من الفساد .

وفى عام ١٩٣٩ نقلت إلى الإسكندرية، وهناك التقيت بعبد الحكيم عامر، وكان يشاركنى ذلك الاعتقاد الراسخ فى الأعماق بضرورة الثورة والتغيير .

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية بزمن وجيز، نقلت إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين، وكان ذلك بقصد التدريب لمدة شهر، وكانت هذه أول مرة أحتك فيها احتكاكاً حقيقيًّا بالبريطانيين كجنود وكأشخاص؛ فتركوا فى نفسى أثراً طيباً .

ولم يكن هناك أى تعارض بين استطاعتى أن أشعر بشعور ودى نحو عدد منهم على المستوى الشخصى، وأن أحترمهم أيضاً كجنود، وبين شعورى العميق بضرورة التخلص من السيطرة البريطانية، ومن النفوذ البريطانى بأى ثمن؛ فالأول كان شعوراً شخصيًا، والآخر كان مسألة مبدأ، وليس هناك علاقة بين الشعورين .

وفى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخاً تامًا، أما السبيل إلى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة إلى دراسة، وكنت يومئذ لا أزال أتحسس طريقى إلى ذلك، وكان معظم جهدى – فى ذلك الوقت – يتجه إلى تجميع عدد كبير من الضباط الشبان، الذين أشعر أنهم يؤمنون فى قراراتهم بصالح الوطن؛ فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد؛ هو خدمة هذه القضية المشتركة .

"مورجان :"كيف بدأ العمل الجدى فى تنظيم الخلايا الثورية؟

الرئيس : كنا بحاجة إلى شىء يجعلنا جميعاً ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية، فأعطانا الإنجليز ما نحتاج إليه؛ ففى ١٩٤٢ كانت بريطانيا تقاتل وظهرها للحائط، وكانت فى الصحراء الغربية الحرب تمر فى مرحلة حيوية، وكان البريطانيون مصممين على أن تقوم فى مصر حكومة تؤازرهم مؤازرة إيجابية، وذهب السفير البريطانى – "السير مايلز لامبسون" – ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة؛ بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية، وسلم الملك إنذاراً يخيره بين إسناد رئاسة الوزراء إلى مصطفى النحاس مع إعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا، وبين الخلع، وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط .

كان ذلك فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شىء كما كان أبداً، وكنت يومئذ فى العلمين حين جاءنى هذا النبأ، وما زلت أذكر انفعالى الشديد؛ وقد كتبت فى تلك الليلة إلى صديق أقول: ترى ماذا نحن

فاعلون بعد هذا الحادث التعيس، الذى تقبلناه بتسليم قوامه الخنوع والمهانة. الحقيقة هى أن الاستعمار ليس لديه إلا وسيلة واحدة يرهبنا بها، لكن يوم يدرك الاستعمار أن المصريين مستعدون للتضحية بأنفسهم، فإنه سيتراجع كالجعجاع الجبان .

إن حوادث ٤ فبراير قد ألحقت العار بمصر، لكنها رغم ذلك ألهمتنا بروح جديدة؛ فقد أيقظت هذه الحوادث أناساً كثيرين من سلبيتهم، وعلمتهم أن هناك كرامة تستحق أن يدافع عنها الإنسان بأى ثمن .

وبالنسبة لى كان عام ١٩٤٥ أكثر من مجرد عام انتهاء الحرب؛ فقد شهد العام بداية حركة الضباط الأحرار؛ تلك الحركة التى أشعلت فيما بعد شعلة الحرية فى مصر، ومع ذلك فقد كان ينتظرنا حادث آخر؛ ليتحول استياؤنا وسخطنا المتزايد إلى خطة ملموسة للثورة .

وقد ركزت حتى سنة ١٩٤٨ على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور فى مصر مبلغ استيائى، والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافى للإقدام على التغيير اللازم. وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين؛ نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة فى هدف مشترك وفى خطة مشتركة. وكانت بى رغبة عارمة للمعرفة؛ فأقبلت على الاطلاع بنهم، والتهمت كتب المفكرين من أمثال: "لاسكى" و"نهرو" و"بل" و"أنيورين بيفان".. وبدأت أفكار الاشتراكية تتكون شيئاً فشيئاً .

"مورجان :"وكيف تدافع الموج الثورى فى مصر خصوصاً مع سنة ١٩٤٨ بأحداثها الخطيرة فى فلسطين؟

الرئيس :فى مايو ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين، وأحسسنا جميعاً بان اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه انتهاكاً صارخاً لا للعدالة الدولية وحدها ، ولكن للكرامة الإنسانية كذلك .

وفى دمشق كان يجرى تأليف فرقة من المتطوعين؛ فذهبت إلى مفتى القدس الذى كان لاجئاً يقيم فى مصر الجديدة، وعرضت عليه خدماتى وخدمات جماعتى الصغيرة؛ كمدربين لفرقة المتطوعين، وكمقاتلين معها، فأجابنى المفتى بأنه لا يستطيع أن يقبل العرض، دون موافقة الحكومة المصرية، وبعد بضعة أيام رفض العرض.

تضايقت؛ فقد كان هذا يتيح الفرصة أمام الضباط المصرين الشبان ليثبتوا قدرتهم على العمل، وتقدمت بطلب اجازة حتى أتمكن من الانضمام إلى المتطوعين، لكن قبل أن يبت فى طلبى أمرت الحكومة المصرية الجيش رسميًّا بالاشتراك فى الحرب.

وكان القرار الذى اتخذته الحكومة هو القرار الصائب، ولكن الطريقة التى نفذ بها القرار كانت كارثة.

لم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية، وكان عمل القيادة على أعلى مستوى فى حكم المعدوم، تبين أن أسلحتنا فى كثير من الحالات أسلحة فاسدة، وفى أوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستجمام فى غزة للملك فاروق.

وقد بدا أن القيادة العليا كانت مهمتها شيئاً واحداً؛ هو احتلال أوسع رقعة ممكنة من الأرض بغض النظر عن قيمتها الاستراتيجية، وبغض النظر عما إذا كانت تضعف مركزنا العام فى القدرة على إلحاق الهزيمة بالعدو خلال المعركة أم لا. وقد كنت شديد الاستياء من ضباط الفوتيلات أو محاربى المكاتب، الذين لم تكن لديهم أية فكرة عن ميادين القتال، أو عن الآم المقاتلين.

وجاءت القطرة الأخيرة التى طفح بعدها الكيل؛ حين صدرت الأوامر إلىّ بأن أقود قوة من كتيبة المشاة السادسة إلى عراق سويدان التى كان الإسرائيليون يهاجمونها، وقبل أن أبدأ فى التحرك نشرت تحركاتنا كاملة

فى صحف القاهرة، ثم كان حصار الفالوجا الذى عشت معاركه؛ حيث ظلت القوات المصرية تقاوم رغم أن القوات الإسرائيلية كانت تفوقها كثيراً من ناحية العدد، حتى انتهت الحرب بالهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة.

وقد قتل القائمقام أحمد عبد العزيز، الذى كان قائداً للمتطوعين أثناء هذه الحملة؛ حين هوجمت سيارته وهو فى طريقه إلى اجتماع فى القدس، وكان أحمد عبد العزيز يقول دائماً: "إن المعركة الحقيقية فى مصر."

كذلك أوشكت أنا أيضاً أن أُقتل فى الحرب؛ فقد جرحت مرتين، وفى المرة الثانية مرت الرصاصة بما لايزيد عن خمسة سنتيمترات تحت قلبى، وبينما كنت طريح الفراش فى المستشفى، كانت أفكار كثيرة وتأملات تمر فى خواطرى.

مورجان :يبدو أن الحوادث أسرعت كثيراً بعد حرب فلسطين.

الرئيس : لقد اتضح لى عندئذ أن المعركة الحقيقية هى بالفعل فى مصر؛ فبينما كنت ورفاقى نحارب فى فلسطين، كان السياسيون المصريون يكدسون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة التى اشتروها رخيصة وباعوها للجيش. ولقد كان من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على؛ فكان الملك فاروق هو هدفنا الأول من نهاية ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢، وأقمنا تنظيمنا ونسقنا نشاطنا ببطْء، ونشبت فى منطقة القنال حرب عصابات لتدمير المنشآت البريطانية، وكنت أعلم أن عدم قيامنا بأية محاولة كبرى للاستيلاء على السلطة قبل أن نستعد تماماً أمر حيوى بالنسبة لنا، وكان فى نيتى أن نحاول القيام بثورتنا فى سنة ١٩٥٥، لكن الحوادث أملت علينا قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير.

وإزاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية سنة ١٩٥٢؛ كانت هناك فكرة ترى أن الحل الوحيد هو اغتيال أقطاب النظام القديم، وبدأنا

باللواء سرى عامر؛ وهو أحد قواد الجيش الذين تورطوا تورطاً خطيراً فى خدمة مصالح القصر، ومع أن ميولى الطبيعة كلها كانت معارضة لهذه السياسة؛ فقد أخذت على عاتقى مسئولية أول محاولة.

وكانت ليلة لا تنسى؛ فقد اختبأت أنا وزملائى الذين اخترتهم ليقوموا بالمحاولة معى تحت أسوار الشجيرات المحيطة بفيلا اللواء، وحين خرج من سيارته، أطلق النار عليه اثنان من زملائنا كانا على استعداد بالمدافع الرشاشة، ولما جرينا لنلتمس الهرب لاحقنى عويل سيدة يمزق القلب وصرخات مذعورة.

ولم أذق للنوم طعماً فى تلك الليلة؛ فقد كنت أفكر فيما فعلته، وإنى لأتذكر أنى صليت لله راجياً ألا يموت، وغمرتنى روح الارتياح عندما قرأت فى صحف الصباح أنه لم يصب حتى برصاصة واحدة. وكانت هذه هى محاولة الاغتيال الأولى والأخيرة التى قمت بها، وقد وافقنى الجميع على العدول عن هذا الاتجاه، وصرف الجهود إلى تغيير ثورى إيجابى.

واشتد التوتر درجة درجة؛ حتى بلغ قمته، وهنا بدأت معركة التعبئة الثورية، وبدأنا نوالى إصدار منشورات " الضباط الأحرار"، وكنا نطبعها ونوزعها سرًّا.

وكانت الأحداث تتطور بسرعة لا نملك السيطرة عليها؛ كان السياسيون يتراشقون بالاتهامات، وبدأت الجماهير تعبر عن غضبها وسخطها علناً. وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ حدثت مأساة حريق القاهرة، ولم تتخذ السلطات أى إجراء، النحاس رئيس الوزراء لزم داره فى جاردن سيتى، وظل الملك فاروق فى قصر عابدين لا يحرك ساكناً، ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول إلا فى العصر، بعد أن دمرت النار أربعمائة مبنى أنزلت بها خسائر فادحة، وتركت١٢ ألف شخص بلا مأوى، وقد بلغت الخسائر ٢٢ مليون جنيه.

ومن الصعب تحديد من يستحق اللوم فى هذه المأساة؛ فقد بدأ اليوم بمظاهرة عنيفة قامت بها بعض الجماعات المتطرفة؛ لكن السخط الجماهيرى سيطر عليها بعد ذلك، فخرج الزمام من يد أى تنظيم، وكان تردد الحكومة هو المسئول المباشر عن تدمير المدينة، وتدهورت الأمور من سيئ إلى أسوأ؛ فتألفت وزارتان ثم خرجتا من الحكم، ولم يبد على الملك ما يدل على استعداده لإيجاد حل للموقف، وهكذا وجدنا أنفسنا فى وضع المعارضة الصريحة له .

"مورجان :"فيما فهمت.. فلقد كان الصراع العلنى السافر بين الضباط الأحرار وبين الملك هو أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش .

الرئيس : كان ذلك صحيحاً؛ فقد تملك الملك الجزع من أن يصبح النادى مركزاً للتمرد؛ فصمم على أن يكون الرئيس الجديد مرشحاً من مرشحيه؛ وهو اللواء حسين سرى عامر .

وكنت لا أقل عنه تصميماً على الحيلولة دون وقوع ذلك؛ فرشحت أنا وزملائى من جماعة الضباط الأحرار اللواء محمد نجيب؛ الذى كان أحد اللواءات المعروفين فى الجيش المصرى، وقمنا بالدعاية له دعاية سافرة، وتم انتخاب اللواء نجيب بأغلبية كبرى، لكن الانتخاب أُلغى بتعليمات من الملك شخصيًا. وكان الملك والحكومة قد انتقلوا فى هذه الأثناء كالعادة كل صيف إلى الإسكندرية، ورغم كل ما بذلناه من جهود للاحتياط ، فقد أصبح معروفاً عند مستشارى الملك أن شيئاً ما بسبيل أن يحدث، ومن المؤكد أن جهودهم فى البحث والتقصى زادت واشتدت .

وحل الملك اللجنة التنفيذية لنادى الضباط، وأصدر وزير حربيته قراراً بتعيين اللواء نجيب مديراً لسلاح الحدود بالقاهرة، كما نقل كثير من الضباط إلى مراكز نائية خبطاً فى الظلام .

ولقد أحسست أن تأخير محاولتنا القيام بثورتنا حتى سنة ١٩٥٥ مسألة مستحيلة؛ فإن الحوادث تتحرك بسرعة، والاستعداد الثورى أصبح متحفزاً، ثم أن هيبة فاروق كانت فى الحضيض، لقد قدرت أن الموقف ساعتها مناسب للقيام بانقلاب، إذا عرفنا كيف ننفذه بسرعة وبكفاءة.

وفى منتصف شهر يوليو دعوت الموجودين فى القاهرة من أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار إلى اجتماع، وأبلغتهم بأن احتمالات القيام بالثورة مفتوحة للنجاح، ولم يكن من رأيى إعدام الملك؛ فقد كنت أحس أن إراقة الدماء تؤدى إلى مزيد من الدماء، وكنت أريد للثورة أن تضع المقاييس التى ستحاسب دائماً بها.

وفى وضع خطتى الأساسية كانت أمامى جملة مشاكل، ولم أهتد إلى حل لبعض هذه المشاكل إلا بعد أن بدأنا فعلاً.

من هذه المشاكل – على سبيل المثال – مشكلة الحرس الملكى الذى كان مؤلفاً من نحو ست كتائب، وهذه تفوق بعددها كثيراً مما كنت أستطيع أن أعتمد عليهم من الرجال، لم أكن أعرف كيف يتصرف الحرس الملكى، كذلك كان من مصادر قلقى احتمال تدخل البريطانيين أو الأمريكيين فى جانب الملك.

ومن مشاكلى أيضاً أن كثيرين من الضباط الأحرار كانوا فى أماكن نائية لا تمكنهم من مساعدتنا، ولم يكن فى القاهرة إلا ثلاثمائة ضابط يمكن أن يناصرونا بصورة محققة. ولقد قررت ألا أشرك الكثيرين من هؤلاء إشراكاً إيجابيًّا؛ فقد كان الاحتياط أمراً جوهريًّا لنجاحنا، ومن ناحية أخرى فلقد تصورت أنه ربما كان خيراً لو تركنا قوة أخرى من زملائنا تغلى قلوبها بالثورة؛ لتواصل العمل إذا ما أخفقت محاولتنا.

ورسمت الخطة الأساسية بعد اجتماعات عقدناها فى بيوت عدد منا، وسلمتها لعبد الحكيم عامر ليضع تفاصيلها، وكنا نريد أن نبدأ فى التنفيذ

بعد ٢٤ ساعة؛ أى فى ليلة ٢١ يوليو، لكن كان من المحال استكمال خطتنا على هذا الأساس، وبناء عليه أجلت ساعة الصفر إلى الساعة الواحدة صباح ٢٣ يوليو .

"مورجان :"لقد كانت ليلة مثيرة دون شك، ولا بد أن ذكرياتها ستبقى زماناً طويلاً، فهل نستطيع أن نعرف الخطوط الرئيسية فى سير الأحداث تلك الليلة ؟

الرئيس :فى نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو، جاء إلى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو من جماعتنا، وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به؛ لتحذيرى بأن القصر قد تسرب إليه نبأ استعداد الضباط الأحرار للتحرك، وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش، الذى دعا إلى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا .

وكان لابد من اتخاذ قرار فورى؛ فلو أننا تركنا كل شىء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها، وهى الواحدة صباحاً؛ فقد يدركوننا قبل أن ندركهم، ومن ناحية أخرى كانت الأوامر قد وزعت، وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع .

وانضم إلينا ضباط المخابرات، وخرجت مع عبد الحكيم عامر لنجمع بعض القوات من ثكنات العباسية، ووصلنا متأخرين؛ فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات، فمضينا إلى ثكنات الفرسان والمصفحات، فوجدنا أيضاً أنهم سبقونا، وكان البوليس الحربى يحرس كل المداخل .

وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر، ولم يبق على ساعة الصفر إلا تسعين دقيقة، وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ؛ عندما تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الحوادث.. ولقد تأكد لى من تطورات الأمور أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا .

فقد انطلقنا لنتوجه إلى ثكنات ألماظة كحل أخير، وكنت أسير بسيارتى الأوستين الصغيرة ومعى عبد الحكيم عامر، وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين فى نفس الطريق تحت الظلام، وأخرجنا الجنود من السيارة، وألقوا القبض علينا؛ لكن الجنود كانوا فى الحقيقة من قوات الثورة، وكانوا ينفذون أوامرى بإلقاء القبض على كل الضباط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة، ولم يكن الجنود يعرفون من أكون فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقة تقريباً، كل دقيقة منها أثمن ما يكون. ولم تصدر الأوامر فوراً بإطلاق سراحى وسراح عبد الحكيم عامر، إلا حين تقدم البكباشى يوسف صديق قائد المجموعة، وأحد زملائى المقربين ليستطلع سر الضجة، ولم أسعد لرؤية أحد فى حياتى كما سعدت حين رأيت يوسف صديق يخرج من الظلام؛ فقد تحرك فى الوقت المحدد له، وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر المعينة ليبدأ الهجوم.

وانضممنا إلى الطابور، وقررت ألا ننتظر، واتجهنا فوراً إلى القيادة، وكانت قواتنا لا تزيد عن قوة سرية، لكن عنصر المفاجأة كان فى جانبنا.

لقد اعتقلنا فى الطريق عدداً من قادة الجيش، الذين كانوا يحضرون الاجتماع فى القيادة لتوجيه الضربة ضدنا.

وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة، ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه، ووجدنا رئيس هيئة أركان حرب، وكان على رأس المائدة يضع مع مساعديه خطة الإجراءات التى ستتخذ ضد الضباط الأحرار، وقبضنا عليهم جميعاً.

وفى الساعة الثالثة صباحاً؛ التقت نفس مجموعة الضباط الذين كانوا قد التقوا قبل ذلك بعدة أيام – التقوا من جديد – لكن التقاءهم هذه المرة كان فى حجرة الاجتماعات بالقيادة العامة، وأوفدت من يجىء باللواء محمد نجيب، الذى كنا قد فاتحناه قبلها بيومين فى احتمال انضمامه إلينا إذا ما

نجحت المحاولة، ولم نكن قد أطلعناه على أحداث الليلة، لكن تبين لنا أنه كان له علم سابق بما حدث .

فقد اتصل به وزير داخلية الملك تليفونيًّا فى الإسكندرية قبل ذلك بنصف ساعة؛ ليستفسر منه عما يجرى، وأمكنه أن يجيبه بأنه لا علم له بشىء، دون أن يكون كاذباً فى كلامه .

كان نجاحنا تامًّا فى الخطوات الأولى، وبقى أن نستوثق تماماً أن الملك لن يتمكن من تنظيم هجوم مضاد. وفى الصباح أجرينا اتصالاً بالسفارة الأمريكية أولاً، ثم السفارة البريطانية لإبلاغهما أن الضباط الأحرار استولوا على السلطة، وأن كل شىء يجرى فى نظام تام، وأن حياة الأجانب وممتلكاتهم ستؤمن ما لم يحدث تدخل خارجى .

وفى السابعة صباحاً أعلنَّا على الشعب المصرى من محطة الإذاعة نبأ عزل الوزارة المصرية، وأن البلاد أصبحت أمانة فى يد الجيش، وأن الجيش أصبح الآن تحت إشراف رجال يستطيع الشعب أن يثق ثقة تامة فى كفاءتهم ونزاهتهم ووطنيتهم، وكان الملك قبل ذلك بنصف ساعة قد سأل قائد جيشه عما يجرى من أمور؛ فأجابه قائلاً: مجرد عاصفة فى فنجان يا صاحب الجلالة !

والآن واجهتنا مشكلة كيف سيتصرف الملك، وكان من رأى بعضنا محاكمته وإعدامه، وكنت لا أزال على تصميمى أن تكون الثورة بيضاء ما أمكن ذلك، وقد كنت أرى إخراج الملك من البلاد على وجه السرعة .

ولجأ الملك إلى السفير الأمريكى، وطلب إليه أن يتدخل مع الوزارة التى تألفت بعد الثورة لإنقاذ حياته، ولم نكن نريد حياته، وإنما كنا نريد خلعه عن العرش .

ووقع الملك وثيقة التنازل عن العرش مرتين؛ بعد أن قرأها وقعها أول مرة ويده ترتعش فاضطر إلى توقيعها من جديد، وكان فى حاله شبه

هستيرية، وسمحنا له بأن يأخذ معه ما بدا له، ولم نشترط إلا أن يكون على ظهر اليخت الملكى فى ميناء الإسكندرية قبل السادسة مساء، وقد أمكن للملك – ورغم خوفه – أن يجهز ٢٧٣ حقيبة وصندوقاً !

وأُعلن نبأ تنازله على الشعب فى السادسة مساء من محطة الإذاعة؛ فى نفس الوقت، الذى أبحر فيه الملك على ظهر اليخت الملكى من ميناء الإسكندرية، وهو يلبس الزى الرسمى الأبيض؛ زى القائد الأعلى للبحرية، وكان اللواء محمد نجيب يودعه على ظهر اليخت، فكانت آخر كلمات الملك: "لقد كنت أستعد لأفعل بكم ما فعلتم بى ."

لقد نجحت العملية الأولى للثورة؛ وبقى علينا أن نجعل المستقبل يستحق كل هذا العناء .

"مورجان :"لقد تابعت الحوادث حتى قامت الثورة ونجحت، ماذا حدث بعد ذلك وعندما بدأتم ممارسة الحكم؟

الرئيس :نجحت الثورة ولكننا لم نكن راغبين فى الحكم مطلقاً، لا أنا ولا زملائى من الضباط الأحرار.. كنا مصممين على محو كل أثر للسيطرة الأجنبية، وعلى إجراء إصلاح زراعى حاسم لإنهاء النظام الإقطاعى الذى اختفى من قبل فى أوروبا منذ ثلاثمائة عام، وكنت أريد أن يضطلع بالمسئولية حزب يمكن أن يؤتمن زعماؤه على العمل فى الحدود التى تلهمها روح الثورة .

وفى بداية الأمر صفقت كل الأحزاب وهللت، وتصور كل من الوفد والإخوان المسلمين والشيوعيين أن الثورة لهم، فقد كانوا يحسبون أن من اليسير عليهم تشكيل جماعة من شباب الجيش المتحمسين بما يتفق مع منهجهم؛ ولكنهم عجزوا عن إدراك ما يكمن وراء الثورة من قوة فى الهدف .

وتحدثت مع زعماء كل الأحزاب، لكنى لم أجد بينهم من كان على استعداد لتقديم صالح الشعب على صالح حزبه، بل لقد ذهبت إلى أكثر من هـذا، فعرضت على حزب الوفد أن أنقل اليه السلطة بشرط أن يضـمن جـلاء البريطانيين عن منطقة القنال، وأن يطبق الإصلاح الزراعى، الذى يحـدد حيازة الملكية الزراعية بمائتى فدان للشخص الواحد؛ ولكـنهم رفضـوا الإصلاح الزراعى، وفضلوا أن يدوروا حول الفكرة ويبعدوا عنها .

وهكذا حملنا المسئولية على عاتقنا والأسف يملأ قلوبنا، ولقد كان عملـى يسيطر على حياتى.. فقلما وجدت الوقت لشىء آخر غير العمل .

"مورجان :"لابد أن تجربة مسئولية الحكم كانت أمراً جديداً بالنسـبة لعملكـم السابق؟

الرئيس : صحيح.. وسرعان ما اكتشفت أن حكم بلد من البلاد يختلف اختلافـاً عظيماً عن قيادة كتيبة من الجنود، ومع ذلك فقـد كانـت هنـاك وجـوه مشتركة بينهما؛ فقد عرفت فى مرحلة باكرة جـدًّا ضـرورة التخطـيط، فالإصلاحات التى أردنا إدخالها كان لابد من تنفيذها على أساس الخطـة الطويلة الأجل، ولقد شغل التخطيط بالى فى هذه المرحلة، ورحت أتحدث عنه إلى كل من تتيح لى الظروف فرصة أن ألتقى به، وتكون لديهم فكرة عنه أو تجربة .

وإنى لأذكر أن موضوع التخطيط كان أول حديث طويل بـين "البانـديت نهرو" وبينى. وأثناء زيارة من زياراته للقاهرة، ركبنا يختـاً فـى النيـل وأخذنا نتناقش لمدة خمس ساعات حول تجاربه الخاصة بـالتخطيط فـى الهند .

ولم أكن أستطيع أن أعتبر نفسى خبيراً، كما أنه لم يكن تحت تصرفنا إلا عدد محدود من الخبراء، ولاسيما فى المجال الاقتصادى وهو مجـال ذو أهمية حيوية. فالخبراء رغم كل شىء قد يكونون، فى بعض الاحيان، عبئاً

أكثر منهم عاملاً مساعداً، فلقد يكونون متحجرين فيما ألفوه من أساليب؛ ولهذا فإنى أفضل المفكرين على الخبراء. إن التفكير يجب أن يرسم الإطار العام للحركة أولاً، ثم يجيء دور الخبرة فى خدمة الإطار العام.

"مورجان :"هل أستطيع أن أقفز إلى أزمة قناة السويس؟ كما تعلمون أن هذا الأمر يهم الرأى العام البريطانى.

إن الرأى العام البريطانى يتمنى لو عادت الظروف مرة أخرى لكى يختلف قراره عما كان. إن هناك أسفاً فى بريطانيا على ما حدث، وأحب أن أسألكم هل كنتم تتصرفون بنفس الطريقة لو عادت الظروف مرة أخرى؟

الرئيس : وأنا من جانبى فلست آسفاً على شيء مما كان، ولو تكرر الموقف لتصرفت بنفس الطريقة مرة أخرى.

ومع ذلك تعود وقائع هذه الأزمة التى تهددت العالم للحظة بأن تجرفه إلى حرب كبرى للمرة الثالثة منذء بدء هذا القرن.. ولندرس أصول هذه الأزمة.

فمن الأسس الثابتة التى وضعتها سياسة الثورة؛ إزالة السيطرة الاجنبية وردُّ الكرامة القومية إلى كل مصرى.. تلك الكرامة هى ميراثه الطبيعى. وقد كنت مصمماً على أن أحقق استقلالنا التام، وأن أحرسه من كل دخيل مهما كلفنى ذلك؛ وكانت السياسة معبرة عن الشعور العام الذى بدأ يجتاح كل العالم العربى.

ولم يفهم قادة الغرب هذه الحقيقة إلا بعد فوات وقت طويل، فقد ظنوا أنهم إنما يواجهون إصرار رجل واحد. كانت نظرتهم إلى العرب هى نفس نظرتهم إليهم قبل الحرب العالمية الثانية؛ فلم يفطنوا أنهم يواجهوا الآن شعوباً تريد أن تنشئ مستقبلها بنفسها، ولا ترضى بأية تبعية بعد الآن.

وكان "جون فوستر دالاس" – وزير الخارجية الأمريكية – هو أول من جرت بينى وبينه مناقشة طويلة، فقد جاء إلى القاهرة بقصد إقناعى بربط القاهرة بالتحالف الغربى. وفيما نحن نتحدث حاول" دالاس" إقناعى بأن الشيوعية هى المهددة الأكبر للعالم، وأنه لا سبيل إلى التغلب على تحديها إلا بإقامة حلف عسكرى قوى .

وحاولت أن أقنعه بأن الصراع ليس صراعاً لرد العدوان من الخارج، فالحدود الجديدة حدود داخلية، والخطر لن يأتى من القنابل الذرية أو من الجيوش، لكن من المعركة للاستيلاء على عقول الناس وأرواحهم. وكنت أقدّر أخطار الشيوعية على مصر، ولكن هذه الأخطار لا ترد إلا برفع مستوى الشعب، وإحلال الكرامة الحرة محل العبودية فى أمة حرمت من المعنويات لفترة طويلة .

وأوضحت لـ "مستر دالاس" أنى بعد كل هذه الجهود التى بذلناها من أجل الاستقلال لن أكون أميناً مع أبناء وطنى، لو أننى ربطتهم بحلف مع الدولة، التى احتلت بلادنا أكثر من سبعين سنة ضد دولة أخرى، ليس بيننا وبينها أية صلة؛ دولة جيوشها تبعد عنا بخمسة آلاف ميل .

كذلك أبلغته أن فى نيتى أن أبنى قوتنا العسكرية؛ بحيث نستطيع أن ندافع عن حدودنا بأنفسنا .

وبعد ذلك بوقت قابلت "أنتونى إيدن" وجهاً لوجه – حين كان وزيراً لخارجية بلاده ونائباً لرئيس الوزراء – وكان يومئذ يقضى ليلة فى القاهرة، وهو فى طريقه إلى سنغافورة. وقد وجدت صعوبة فى توضيح موقفنا، تفوق الصعوبة التى وجدتها مع "دالاس نفسه، قلت له: إننا لا نستطيع أن نربط أنفسنا بأى كتلة عالمية، وأنه فى حالة وقوع غزو علينا من الشرق، فمن المحقق أنى سأطلب المعونة من الغرب. وأضفت إلى ذلك قولى: إنه فى حالة وقوع غزو علينا من الغرب فإننى لن أتردد

فى طلبى المعونة من الشرق. فأكد أن إمكانية قيام أية دولة من الغرب بغزونا إمكانية لا وجود لها، ولقد كان عجيباً أن تشترك دولتان من أكبر دول الغرب فى عدوان مسلح علينا، ولم يمر عام وبعض عام على هذا الكلام !

وكنت أعارض حلف بغداد الذى أقامته وأيدته بريطانيا وفرنسا فى سنة ١٩٥٥ تأييداً قويًا، معارضة مريرة لنفس الأسباب. وأعود فأقول: إن الدول العربية كانت تستهدف لخطر؛ وذلك بربط نفسها بكتلة أوروبية ولخطر الاعتماد على هذه الكتلة.

وفى فبراير ١٩٥٦ زار "سلوين لويد" القاهرة؛ ليحادثنى فى الموقف فى الشرق الأوسط، وكان أشد استعداداً للاستماع لوجهة نظرنا ولتقديرنا بدرجة كبيرة، ولكنه عجز عن فهم أساس تفكيرنا فهماً تامًّا. وكان قلقاً بشكل خاص بسبب حرب الدعاية، التى كنا نشنها يومئذ فى الشرق الأوسط على حلف بغداد بكل ما أوتيت من وسائل. وقلت لـ "سلوين لويد: إنى سبق أن أبلغت "أنتونى إيدن" فى العام السالف بنيتى أن أشن حرب الدعاية هذه، وحاولت أن أقنعه بأن العالم العربى الذى صوره "لورانس" و"جلوب" لم يعد له وجود، فأجابنى قائلاً: "لا تنسى أن "جلوب" لا يزال باقياً لنا فى الأردن."

وعند عوته إلى السفارة البريطانية تلك الليلة، تسلم" لويد" رسالة تبلغه أن "جلوب" فصل من وظيفته فى عصر ذلك اليوم نفسه، وأنه تلقى أمراً بمغادرة الأردن فى اليوم التالى.

ولم يستطع "سلوين لويد" أن يدرك أن "جلوب" كان ينتمى إلى عالم فى طريقه إلى الزوال.

وخلال ذلك كله كانت هناك مشكلة بناء السد فى أسوان، الذى ستتسع به رقعة الأرض القابلة للزراعة فى مصر بنحو ٣٠%، وسنتمكن به عن

طريق تخزين المياه، ومن التحكم تحكماً مثمراً، من رى كل الأراضى التى الآن تحت رحمة المناخ.

وكان مقدراً لنفقات بناء السد حوالى ٢٠٠ مليون جنيه، وكان لابد من تمويل مثل هذا المشروع الضخم من الخارج، ولكن المشروع كان رمزاً لمصر الجديدة، فإلى جانب ما سيعود به على البلاد من فوائد لا تحصى، فهو سيكون أضخم مشروع من نوعه فى العالم، وسيكون مصدر اعتزاز دائم لكل مصرى.

وبدت المفاوضات المبدئية لتمويل المشروع مبشرة بالخير؛ فوجدنا تشجيعاً من الولايات المتحدة الأمريكية ومن البنك الدولى، بل إن بريطانيا عرضت أن تساهم بستة عشر ملايين دولار، بشرط إتمام الموافقة على القرض الأمريكى. وحتى هذه المرحلة لم نكن قد فاتحنا الاتحاد السوفيتى لنجس مدى استعداده للتعاون معنا فى بناء السد العالى فى حالة سحب العرض الغربى، رغم أن الشائعات جرت فى الغرب بأننا قد فاتحناه فى ذلك، فالمفاوضات مع روسيا لم تجر إلا فى سنة ١٩٥٨.

وسرعان ما تكشفت العقبات؛ فالأمريكان أرادوا الإشراف على ميزانيتنا، وحتى فحص حساباتنا. وكنت معارضاً لهذا من حيث المبدأ معارضة شديدة، وعلى كل حال فقد خامرنى شعور بأن الأمريكان كانوا قد قرروا عدم المضى فى هذا القرض.

وقد قال لى سفيرنا فى واشنطن فى يوليو ١٩٥٦: إنه واثق أن كل شىء سيسير على ما يرام لو أننى وافقت على شروط الأمريكان. وكنت مقتنعاً قبله تمام الاقتناع بعكس ذلك، ومع ذلك سمحت له أن يعود إلى واشنطن بمحاولة مقابلة "دالاس" فى منتصف الطريق، وكنت واثقاً أن "دالاس" سوف يضطر إلى كشف موقفه صراحة.

فى ذلك الوقت كنت قد سافرت إلى بلجراد لمدة أسبوع لإجراء محادثات مع "المارشال تيتو" و"الباندیت نهرو" وجاءنى النبأ فى الطائرة وأنا فى طريق العودة، وعدت إلى القاهرة لأواجه النتائج، فقد كنت مصمماً على بناء السد العالى، الذى كان يمثل كل هذه المعانى .

"مورجان :"هل أستطيع سؤالكم عن قرار تأميم شركة قناة السويس، كيف اتخذ؟ وكيف كانت الترتيبات لمواجهة نتائجه؟ ثم كيف وصلت الأمور إلى الحرب المسلحة؟

الرئيس : لقد عدت من اجتماع بريونى، ووجدت قرار "دالاس" بسحب عرض المساهمة فى تمويل السد العالى، ولم أجد على الفور وقتاً للتفرغ لدراسة المشكلة؛ فقد كان "الباندیت نهرو" ضيفاً فى القاهرة فى اليوم الأول، فوجهت كل اهتمامى إليه. ولم أتفرغ لأفكر فى المشكلة إلا بعد أن غادر البلاد، وأصبحت المشكلة أساساً مشكلة بسيطة لا تعقيد فيها، أما وقد كان من المحال وضع المشروع على الرف؛ فقد تعين إيجاد المال اللازم، ولم يكن أمامى من وسيلة لزيادة الدخل القومى بهذه الدرجة الواضحة إلا بتأميم قناة السويس .

واليوم لا ينكر القانون الدولى على دولة حقها فى تأميم الشركات المنشأة داخل حدودها الإقليمية، لكننى كنت أعلم أنى أجازف مجازفة مدروسة، وكنت أعلم – من تجربتى الخاصة مع "أنتونى ايدن" – أنه سيحس بضرورة القيام بعمل لحماية المصالح البريطانية؛ لكننى كنت أيضاً واثقاً ثقة كافية أن بريطانيا لم تكن تملك من القوات فى كينيا وقبرص وعدن – وهى أقرب قواعد لها – ما يكفيها للقيام بهجوم فورى، وكنت أعتقد أنه ريثما يتاح له تعبئة القوات الكافية للغزو؛ يمكننا تعبئة الرأى العام العالمى، وتهيئته للوصول إلى حل سلمى .

ولزمت الصمت ثلاثة أيام، واستدعيت محمود يونس الذى كان زميلاً لى فى هيئة التدريس بكلية أركان الحرب قبل ثورة ١٩٥٢، وكلفته بمسئولية عمليات الاستيلاء على شركة قناة السويس، وكان عليه أن يعد كل شـــىء انتظاراً لليلة ٢٦ يوليو؛ يوم مرور أربع سنوات بالضبط على تنازل الملك فاروق عن العرش، وكان على أن ألقى فى تلك الليلة خطاباً فى اجتمـــاع سياسى يقام فى الإسكندرية، وكان فى نيتى أن أعلن فى هذا الخطاب تأميم قناة السويس .

وكان كل شىء معداً سلفاً.. كان الجنود المصريون ينتظـــرون، ومعهـــم أوامر مختومة باحتلال مكاتب شركة قناة السويس ومنشآتها، وكان محمود يونس يعلم أن كلمة السر للبدء فى العملية هى أن أذكر اسم "دليسبس" فى خطابى. ولا أعرف شيئاً مر بهدوء كما مرت هذه العملية؛ فما أن فرغت من إلقاء خطابى هذا حتى كانت العملية كلها قد نفذت .

وحتى أنا؛ لم أكن أتصور مدى الفرحة التى استقبل بها تأميم القناة لا من الشعب المصرى وحده، لكن فى العالم العربى كله، وتكاد تكون هذه المرة الأولى التى تجلت فيها الوحدة العربية التامة على المستوى الشعبى. أمـــا فى الغرب؛ فقد كان رد الفعل كما توقعته، فالصـــحافة نـــادت باســـتعمال القوة، لكن القوة بكل بساطة – كما توقعت – لم تكن جاهزة حتى يمكـــن استعمالها .

وكنت مؤمناً تمام الإيمان بحقنا فيما أقدمنا عليه، وكان رفـــض القـــرض لبناء السد هو الدافع المباشر لاتخاذى هذه الخطوة؛ لكننى كنت من قبل قد شكلت لجنة لدراسة مستقبل قناة السويس، وتقديم مشروعات بشأنها، فالقناة مصرية، وأياً كان الأمر فقد كان محتماً فى النهاية أن نتخذ خطوة مشابهة .

ورغم أنى حين اتخذت هذه الخطوة، لم يكن فى نيتى أن أتراجـــع مهمـــا كانت الظروف؛ فقد كنت على استعداد للتفاوض على أى مستوى؛ لإعطاء

تأكيدات لحرية الملاحة الدولية فى القناة، بل لقد سمحت للسفن البريطانية والفرنسية بأن تمر دون دفع الرسوم المقررة عليها للإدارة الجديدة؛ حتى لا أفتح الباب لاحتمالات صدام سريع.

وقد جمد البريطانيون والفرنسيون أصولنا فى لندن وباريس، ودعوا لعقد مؤتمر فى لندن، تحضره كل الدول الملاحية والمهتمة بقناة السويس، ودعينا لحضور هذا المؤتمر، وكنت عازماً على الحضور، وكان كل مستشارينا وكل وزرائنا يعارضون فى ذلك؛ فقد كانوا يشعرون شعوراً أكيداً بأن الجو سوف يكون عدائيًا سافراً فى عدائه، ولم يروا أى وجه نافع فى حضورى هذا المؤتمر.

وفى الليلة السابقة لموعد القرار النهائى، ألقى "إيدن" حديثاً فى التليفزيون قال فيه: "انظروا! هذا هو سجل عبد الناصر"، ثم عرض ورقة سوداء! فعرفت عندئذ أنه من العبث الجلوس إلى مائدة مع "إيدن" لمناقشة أى وجه من وجوه المسألة، عرفت أنه وصل إلى قراره الأخير، وألا فائدة من مناقشة رجل أعمته أحقاده، وكادت تصل به إلى الكراهية الشخصية.

ثم أوفد إلى بعد ذلك "روبرت منزيس" – رئيس وزراء أستراليا – ومعه مشروع المؤتمر لتدويل القناة، ولم أجد إلا الرفض.

ثم أقدم البريطانيون والفرنسيون بعد ذلك على العمل، الذى حسبوا أنه بغير شك سيشل حركتنا؛ فأمروا كل مرشديهم أن يتركوا خدمة القناة يوم ١٤ سبتمبر فى منتصف الليل، وقد كان تسيير الملاحة فى القناة يحتاج فى الظروف العادية إلى ٢٥٠ مرشداً؛ فلم يبق لنا بعد تخلى المرشدين البريطانيين والفرنسيين عنا سوى ستة وعشرين مرشداً مدرباً وثلاثين مرشداً تحت التمرين.

طلبت محمود يونس وشرحت له الظروف، وأفهمته أن سلامة الموقف كله تتوقف على بقاء القناة مفتوحة، وقال لى محمود يونس: ستبقى القنال مفتوحة.

وفى تلك الليلة حضرت مؤتمراً صحفيًّا، فلما سئلت عما أزمعت عمله إزاء خروج المرشدين، أجبت ببساطة: إنى قد أعطيت تعليماتى بتيسير حصولهم على تأشيرات الخروج. واستولت الصدمة على المراسل؛ فسألنى قائلاً: أهذا كل ما هنالك؟ فقلت: لا، فقد أمرت الفرقة الموسيقية أن تعزف لهم عند رحيلهم (حفظ الله الملكة) أو (المارسيليز).

وكانت هذه كلمات ملؤها التحدى؛ لكن ثقتى فى محمود يونس كانت تامة، ولم يخيب أملى فيه؛ فبعض المرشدين اشتغلوا ٧٢ ساعة دون توقف، لكن القنال ظلت مفتوحة، ولم يحدث فيها أى تعطيل أو حوادث؛ وهكذا أفسدنا آخر اعتراض ممكن على كفاءتنا؛ لضمان سلامة الملاحة فى القنال.

وأخيراً اعتقدت أن الأزمة قد انتهت، ولم أكن أعتقد أن فى إمكان بريطانيا أو فرنسا- بعد كل هذا - أن تتحدى الرأى العام العالمى وتهاجمنا، ولاسيما بعد أن نظمت بريطانيا وفرنسا ومصر اجتماعات تحت رعاية الأمم المتحدة. وكان مقرراً أن يعقد الاجتماع فى جنيف يوم ٢٩ أكتوبر، وفى الواقع لم يعقد هذا الاجتماع؛ فقد كان هناك ما يشغلنا فى ذلك اليوم؛ ففى صبيحة ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦عبر الإسرائيليون حدود مصر. وقد انطوى الآن كل هذا مع التاريخ، وانطوى معه الإنذار البريطانى- الفرنسى المشترك؛ الذى جاء فى اليوم التالى مطالباً بأن ينسحب كل من الجانبين إلى مواقع تبعد عشرة أميال عن قناة السويس قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة؛ وإلا.. فالتدخل. ولم أكن أتصور أن يكون "إيدن" من الغباوة بحيث يهاجمنا بالتواطؤ مع إسرائيل؛ فيفقد بهذا كل صديق له فى العالم العربى، ويعرض موارده من البترول للخطر، ويتحدى فوق ذلك الأمم المتحدة كل هذا التحدى الصارخ.

ورفضت الإنذار على الفور، وبدأت فى إعداد الخطة لمقاومة العدوان البريطانى - الفرنسى. وفى عصر اليوم التالى سمعت أزيز طائرات نفاثة، وقلت على الفور إن هذه ليست طائرات إسرائيلية؛ فليس لدى الإسرائيليين قاذفات قنابل نفاثة، وصعدت على عجل إلى سطح بيتى فى مصر الجديدة، الذى استطعت منه أن أرى قاذفات القنابل تضرب مطار القاهرة الدولى.

وبهذا حلت لحظة العمل؛ فأقمت مقر حياتى فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة، وجعلت فيها دارى حتى انتهت حرب السويس.

ولم تواجه الجيوش الإسرائيلية التى هاجمت صحراء سيناء إلا ست كتائب مصرية، وبمجرد بدء الهجوم أصدرت الأمر بأن تعبر قناة السويس فرقتان، وتتقدما لملاقاة الإسرائيليين والدخول معهم فى معركة حاسمة، وقد تم بالفعل تنفيذ الأوامر، وانتقلت الفرقتان عبر القناة بكامل المعدات، وتحركتا لملاقاة العدو.. كان ذلك كله قبل التدخل البريطانى - الفرنسى.

ولكنى أدركت أن الموقف الآن يختلف تماماً عما كان عليه، وأنه لابد من تغيير خطتنا؛ لأن الإصرار عليها بعد تغير الظروف معناه أنى أعرض زهرة الجيش المصرى للوقوع فى الفخ، وربما للإبادة فى الصحراء؛ فقد كان محتماً أن يقعوا بين الجيش الإسرائيلى من ناحية، والقوات البريطانية والفرنسية بطول القنال من ناحية أخرى.

وبناء عليه فقد أصدرت التعليمات للفرقتين بالانسحاب فوراً، وأن ترابطا فى مواقع بغرب قناة السويس، وقد تم تنفيذ عملية الانسحاب كاملة أثناء الليل؛ لتتقى القوات ما أمكن خطر الهجوم الجوى عليها؛ فقد كان البريطانيون والفرنسيون مسيطرين على الجو.

وكان هدفى هو إعادة قوات الجيش إلى مواقعها، قبل أن يبدأ البريطانيون والفرنسيون هجومهم على منطقة القناة، وقد نجحنا فى هذا نجاحاً تامًّا،

وقد ترك هذا الانسحاب الطريق مكشوفاً أمام الإسرائيليين ليتقدموا ويجتازوا شبه جزيرة سيناء كلها؛ لكنه حفظ الجيش المصرى سليماً فى جوهره، وقادراً على القتال فى حرب طويلة إذا لزم الأمر .

وأصدرت أوامرى إلى القوات الجوية المصرية بألا تتصدى إلى قوات العدو الجوية التى تسيطر على الجو؛ فقد أردت أن أصون قواتنا الجوية، وأن أدخرها لتواجه الموقف فى حالة نشوب قتال طويل، وقد فقدنا بعض طائراتنا القديمة وهى على الأرض نتيجة الهجوم الجوى، لكن النفاثات الروسية الجديدة من طراز "اليوشن" و"ميج" أمكنها كلها تقريباً أن تطير خارج مصر إلى قواعد فى سوريا أو فى السعودية، أو أن نخفيها بالتعمية فى مطارات سرية تقع فى الصحراء .

وفى هذه الأثناء كنت أقوم بحملتى لتعبئة الرأى العام فى جانبنا؛ لهذا كان مركز القوات البريطانية والفرنسية مركزاً يائساً، حتى وهى تنزل بالمظلات فى منطقة القناة؛ فالجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت بأغلبية ساحقة فى جانب انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية، بلا قيد أو شرط، وأصرت الولايات المتحدة على إعلان وقف إطلاق النار، بل ورأينا كندا تعارض أمها الكبرى بريطانيا من منبر الأمم المتحدة .

وقد جعل الموقف الولايات المتحدة وروسيا يقفان فى جانب واحد لأول مرة منذ الحرب، ولم يحدث أن وجهت نداءً مباشراً للروس ليتدخلوا؛ لكن كان مقرراً أن يزور شكرى القوتلى – رئيس الجمهورية السورية – موسكو فى زيارة رسمية فى اليوم التالى للهجوم الإسرائيلى، فاتصل بى وسألنى إن كنت أستصوب تأجيل الزيارة؛ فأجبته بأنى أعتقد أننا أكفاء للموقف، وبأن يمضى فى مشروعاته .

وبينما كان شكرى القوتلى فى موسكو، سأله الروس عما يمكن أن يقدموه لنا فى سبيل المساعدة، وبعد أحد عشر يوماً من الهجوم الإسرائيلى قدم

الروس مذكرتهم التى ذكروا فيها أنه من الجائز أن يقوموا بحرب ذريـة خاطفة؛ ما لم تسحب كل من بريطانيا وفرنسا قواتها مـن منطقـة قنـاة السويس. وقبل البريطانيون والفرنسيون وقف إطلاق النار، وقد انسـحبت القوات البريطانية والفرنسية بلا قيد أو شرط.

وقد قدم "إيدن" أسباباً عديدة يفسر بها التدخل البريطانى فـى السـويس؛ لكننى لا أجد بينها سبباً واحداً يمكن أن أقبل وجاهته، فزعمه أن التـدخل كان عملاً بوليسيًّا قصد به الفصـل بـين الجـيش المصـرى والجـيش الإسرائيلى، إنما كان مجرد ذريعة مكشوفة؛ ففى ذلك الوقت كان لا يزال بين الجيشين مسافة ٢٠٠ ميل، فيما عدا كتيبة مظلات واحدة.

أما الأسباب الأخرى؛ وهى حماية قناة السويس وحماية موارد بريطانيـا من البترول، وحماية أرواح البريطانيين وممتلكاتهم فى مصر، فكلها أيضاً افتراضات زائفة؛ فقد سدت قناة السويس لمدة ستة أشهر بأعمال التخريب كنتيجة مباشرة للتدخل، وكذلك قُطعت خطوط أنابيب البترول البريطانية، وإذا كانت أرواح البريطانيين وممتلكاتهم فى مصر لم تمس بـأى سـوء طوال الأزمة؛ فالفضل فى هذا يرجع كله إلى الشـعب المصـرى الـذى سيطر على عواطفه، وأصر على عدم الانتقام من الرعايـا البريطـانيين انتقاماً شخصيًّا، وفى الواقع لم يصب بريطانى واحد من المدنيين طـوال مدة الأزمة.

وفى اعتقادى أن السبب الحقيقى فى سوء تقدير "إيدن" للموقف على هـذا الوجه الشامل؛ هو سوء فهمه التام لموقف العرب فى بلاد الشرق الأوسط، ولا سيما فى مصر، فقد كان لا يزال اعتقاده بأن فى إمكانه إسقاط حكومة عن طريق التهديد بالتدخل؛ كما فعل "مايلز لامبسون" حين حاصر قصـر الملك فاروق بالدبابات سنة ١٩٤٢.

وأظن أنه كان يعتقد أن مجرد صدور إنذاره كاف لإسقاط النظام كله؛ فهو استهان تماماً بشعور الشعب المصرى كله وبإصراره على أهدافه .

لقد عجز "إيدن" عن أن يدرك أن روح العزة قد بعثت فى الشعب المصرى بأكمله، وأن البلاد كلها قد اتحدت، وعقدت عزمها للمرة الأولى من أكثر من قرن للقتال فى سبيل الوطن .

أما اليوم، فقد دخلت حرب السويس فى ذمة التاريخ، وقد صفحنا عما كان، ولكن لا تنتظروا منا أن ننساه ما حيينا .

"مورجان :"بعد حرب السويس؛ هل استحال التعاون بين الجمهورية العربية وبريطانيا؟ وهل فى نية القاهرة - كما يقول البعض فى لندن- أن تقطع مرور البترول العربى إلى بريطانيا؟

الرئيس : بيننا الآن وبين حرب السويس ست سنوات، وأعتقد أن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا تدخل اليوم فى مرحلة جديدة، وما من شك فى أن ميراثنا من مغامرة السويس كان الشك من الجانبين؛ فقد تحقق لنا أن الأفكار الاستعمارية لم تمت فى بريطانيا، كما أنى أظن أنه ما زالت هناك عناصر فى بريطانيا، ترى فينا مصدر تهديد لمواردها من البترول فى الشرق الأوسط .

وسيستغرق بناء الثقة من جديد لدى الطرفين بعض الوقت، وأنا حريص على إنشاء الصداقة بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا بمثل ما أنا حريص على التعاون مع بقية شعوب العالم، ولكن الصداقة التى أنشدها لابد وأن تكون صداقة بين أنداد، صداقة غير معلقة على شروط من أى من الجانبين؛ فهدفنا الأول هو قيام السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط كله، ففى جو السلام والاستقرار وحده يمكننا بناء مصر الحديثة وتطويرها .

ونحن بحاجة إلى كل قرش يمكننا أن نحصل عليه لتمويل مشروعاتنا الكبرى، وقناة السويس تمثل مصدراً من مصادر الإيراد لدينا، وعرقلة وصول البترول إلى غرب أوروبا من الشرق الأوسط ستفضى إلى هبوط كبير فى إيرادات قناة السويس .

ونحن لسنا من كبار منتجى البترول فى الشرق الأوسط، ومع ذلك فنحن – كسائر بلاد العالم العربى – لا يهمنا إلا بيع البترول الذى ننتجه، فالدول لا تستخرج البترول لتشربه ولكن لتبيعه .

فمن الناحية الاقتصادية وحدها إذاً، ليس هناك خطر على موارد الغرب من بترول الشرق الأوسط، على أساس تجارى عادل ومنصف .

"مورجان :"بعد عشر سنوات من الثورة، هل مازالت سياستكم التى ظهرت لأول مرة فى كتاب "فلسفة الثورة" تعبر عن آرائكم ؟

الرئيس : ربما كان مرور عشر سنوات على قيام الثورة مرحلة مناسبة لننظر إلى الوراء فنرى الطريق الذى قطعناه، وننظر إلى المستقبل لنبصر طريقنا إلى الأمام، وفى هذا أقول : إن كل الأهداف والمعتقدات الأساسية التى بينتها فى كتابى " فلسفة الثورة " لا تزال ثابتة، لكن بينها أشياء كثيرة لا داعى لمحاولة تحقيقها قبل أوانها .

ففى كتابى الصغير هذا تحدثت عن الدوائر الثلاث التى تتداخل فى حياتنا، ألا وهى: الوحدة العربية، التعاون الإسلامى والتضامن الإفريقى. وليس بين هذه الدوائر تعارض من أى نوع كان. فنحن أولاً وقبل كل شىء أمة عربية؛ ولذا فإن الوحدة العربية هى فى مقدمة ما نفكر فيه، كذلك فإن الأكثرية الساحقة من السكان فى بلادنا مسلمة؛ ولذا فإن كل ما يؤثر فى العالم الإسلامى يصبح تلقائيًا موضع اهتمامنا، أما عن إفريقيا فلن نستطيع الفكاك منها، حتى ولو أردنا ذلك؛ فنحن جزء من القارة الإفريقية، والنيل، وهو سر وجودنا، ينبع من قلب هذه القارة .

وهذا الاهتمام الطبيعى بهذه العوالم الثلاثة ليس معناه أننا نسعى لتوحيدها سياسيًا، وإنما معناه أننا نسعى لتحقيق التعاون الوثيق بيننا وبينها .

والوحدة العربية هى أهم ما يشغل بالنا، ومن الواضح أن الوحدة السياسية التامة لا يمكن فرضها، وإنما هى فى اعتقادنا يجب أن تصدر عن الإجماع، وأول ما يمهد لهذا الإجماع هو وحدة فى الفكر؛ ولهذا فإن أول ما نحاول إيجاده هو وحدة فى التفكير بين الشعوب العربية؛ حتى يمكن تحقيق الوحدة فيما بعد بالإرادة التلقائية عند أبناء هذه الشعوب .

ولابد من أن نترك المجال أمام كل بلد من هذه البلاد، وهى تتفاوت فى كيانها من المجتمع الإقطاعى إلى الدولة الاشتراكية الحديثة؛ لكى تخطو نحو التطور بحسب قدرتها. وإن الاضطراب والتقلبات الشديدة التى تجرى فى بلاد الشرق الأوسط؛ إنما مردها إلى أن تطور هذه البلاد لا يمكن أن يتحقق ببطء، فيستغرق القرون الطوال التى استغرقها فى دول أوروبا الغربية، فقوى الضغط الأيديولوجى اليوم أعنف ما يكون، والتليفزيون والإذاعة يكافحان بلا انقطاع للسيطرة على عقول الناس، وقد كان علينا فى مصر أن نحقق فى عشر سنوات ما تحقق فى بريطانيا فى ثلاثمائة سنة، لا أقل من ذلك .

وتحقيق الوحدة التامة بين بلاد تتفاوت على هذا النحو فى مستويات التطور أمر كبير؛ ثم هو عملية صعبة، والوحدة السياسية بين مصر وسوريا التى فصمت مؤقتاً قد تم تحقيقها فى ١٩٥٨ بالرغم من العقبات الجسيمة .

فحين فاتحنى ممثلو الشعب السورى فى أمر الوحدة قلت لهم: – بمنتهى الصراحة – إنى لا أعتقد أننا مستعدون لها، واقترحت عليهم أن نقضى خمس سنوات فى التحضير للوحدة السياسية الكاملة.. اقترحت عليهم أن نبدأ بالتعاون الاقتصادى والاجتماعى، وألا ندمج الدولتين تماماً إلا حين

تبلغان مستوى واحداً من التطور؛ فأصروا على أن الوقت أضيق من ذلك، وأنه لابد من تحقيق الوحدة فوراً؛ وإلا تعرضت بلادهم للخطر .

وقد أثبتت الحوادث صدق نظرتى؛ فقد اعترضت طريقنا أشياء عديدة تكاثرت علينا؛ فالمصالح الرجعية حشدت كل قواها ضدنا، وهذا - مع الحواجز الجغرافية - عرض تجربة الوحدة للنكسة .

وقد هلل بعض أعدائنا للانفصال على أنه فشل ذريع لتجربة الوحدة، وهذا ما أخالفهم فيه، فرغم أن الوحدة السياسية انفصمت عراها، فقد تحققت مكاسب كثيرة: فقد عظمت اليوم الوحدة فى التفكير بين شعبى البلدين؛ كما دلت على ذلك الثورة الأخيرة فى سوريا .

ونحن فى العالم العربى نستخدم لغة واحدة، ولنا تاريخ مشترك؛ فمن غير المعقول أن تبقى فرقتنا إلى الأبد .

واهتمامنا بإفريقيا وبالعالم الإسلامى بأجمعه ليس معناه أننا نرمى إلى إقامة وحدة سياسية داخل هذين الإطارين؛ فلست أعتقد أن اندماجنا مع أى دولة من دول إفريقيا أمر يسير، لكننا على الرغم من هذا حريصون على التعاون مع الشعوب الإفريقية التى نشترك وإياها فى كثير من الأشياء، فمن الناحية الجغرافية نحن نحرس باب إفريقيا، وليس هناك سبيل لأن نهرب من مصيرنا .

"مورجان :"هل تعتقدون أن الدولة الشمولية لازمة لمرحلة التطور الأولى لدى الدول النامية؟

الرئيس : كثيراً ما سئلت فيما إذا كنت أعتقد أن نظام الدولة الشمولية نظام لازم فى مرحلة التكوين التى تمر بها البلاد النامية، والإجابة عن هذا السؤال تتوقف على المقصود بالدولة الشمولية. والذى لاشك فيه أن النظرية الغربية المألوفة فى الديمقراطية ليست النظرية الوحيدة ولا المحتومة

للديمقراطية، ولقد قلت إنه من المهم أن ترتبط تذكرة الانتخابات برغيف العيش؛ فإن حرية التصويت يمكن التلاعب فيها مع رجل جائع.

وهذه كانت حقيقة الأحوال فى ١٩٥٢، فلو أننا أقمنا بعد الانقلاب مباشرةً فى يوليو ١٩٥٢ نظاماً على الطراز الغربى؛ لأفضى ذلك إلى انتخاب نوع من الحكومة الفاسدة، لا تختلف فى شىء عن الحكومة التى أزلناها، فالسلطة كلها كانت مركزة فى يد طبقة واحدة تتمتع بالامتيازات.

كان أول جوهريات الثورة إذًا هو إزالة الحواجز بين الطبقات، وإعادة توزيع ثروة البلاد بطريقة أقرب إلى العدالة، ورد الحريات الأساسية للمصرى العادى؛ كحرية العمل، وحرية القوت، وحرية تملك الأرض التى يفلحها؛ وكذلك حق حماية نفسه وأسرته، وحق المشاركة فى الثروة القومية والأشراف عليها.. وهى جميعاً حقوق وحريات ساعدته على استرداد عزته وكرامته الشخصية، وهما حق طبيعى لكل إنسان.

والأحزاب السياسية محظورة فى مصر فى الوقت الحاضر؛ لأن بلادنا تجتاز ثورة شاملة، نحتاج فيها إلى وحدة قواها العاملة، مجردة عن مناورات الصراع الحزبى، ولا أعرف متى تجد الأحزاب السياسية لنفسها مكاناً فى حياة أمتنا من جديد. ونحن فى سبيلنا إلى وضع دستور جديد، سوف يؤدى إلى إنشاء برلمان منتخب انتخاباً كاملاً على أساس الدوائر الانتخابية؛ فإنه من المحتم أن يتمتع كل مواطن بحق التصويت، وأن يتمكن من الإدلاء برأيه فى كل مسألة قومية بحسب قيمتها. وفى هذه المرحلة لن يتقيد أحد بالقيود الضيقة التى تفرضها المذهبية الحزبية.

أما بالنسبة للمستقبل؛ فإن شعبنا لا يرضى بأى دكتاتورية من أى نوع كان؛ فقد حطمنا الدكتاتورية السابقة التى كانت تفرضها الطبقات العليا فى المجتمع.

إن الشعب لمصمم بنفس القوة على ألا تقع البلاد فريسة لأى دكتاتورية بديلة لها .

"مورجان :"إن بعضهم يصور الإصلاح الزراعى، الذى قمتم به فى مصر على أنه أخذ لأموال الغير .

الرئيس : وكثيراً ما صورت الصحافة فى الخارج سياستنا فى الإصلاح الزراعى – تلك السياسة التى غيرت وجه مصر– على أنها سياسة تقوم على أخذ أملاك الأغنياء، أما الحقيقة فغير ذلك؛ فقد خفضنا الحد الأقصى للملكية الزراعية بمائة فدان للأسرة الواحدة، وهذا مكن آلاف الفلاحين من أن يمتلكوا الأرض التى يفلحونها، وقد كانوا من قبل يعيشون فى عبودية اقتصادية، وقد بلغ من جور الملكية الزراعية فى الماضى أن عدد من تأثروا بقانون الإصلاح الزراعى لا يزيدون عن ٢١٠٠ شخص .

وليس معنى هذا أن كل مشاكلنا قد حلت، فلا تزال أمامنا مشاكل جسيمة، فهناك فرق كبير بين اتخاذ التدابير الحاسمة للإصلاح وبين تطبيقها بنجاح .

فنحن نواجه زيادة مطردة فى السكان، وهذا مصدر من أقوى مصادر قلقنا. ومع ذلك فقد ازداد السكان العام الماضى بنسبة ٢,٥ فى المائة؛ بينما ازداد الدخل القومى الكلى بنسبة تقرب من ٨ فى المائة، ولابد من العمل بأساليب جديدة فى الإنتاج الزراعى؛ كما أنه يتحتم علينا إقناع الفلاحين بالتعاون لبلوغ أقصى حد من الكفاية الإنتاجية، ثم إننا نحتاج إلى أموال طائلة لتصنيع البلاد. نعم، إن أمامنا مشاكل كثيرة، ولكنى أعتقد أننا نعالجها بروح واقعية؛ فهذه الأمة التى أخذت تتقدم وتكاد لأول مرة فى تاريخها تحس بالاعتزاز بما تحقق، قد غدت الآن أمة ذات هدف وعزم .

"مورجان :"هل مازال اعتقادكم قائماً بأن الحياد ممكن فى الجو الدولى الراهن؟

الرئيس : أعتقد أن موقفنا من الشئون الدولية قد ازداد اليوم جلاء؛ فقد ظلت بريطانيا وأمريكا سنوات طوال تميلان إلى الاعتقاد بأن كل من ليس على

استعداد للدخول فى الكتلة الغربية فهو بالضرورة يعطف على الشيوعية، وكانتا - لفترة طويلة - تجدان عسراً فى الاعتقاد بأن الحياد الصادق ممكن.

وإنى لأعتقد أن هذا الموقف لابد أن يتغير، وأن صدق الأمم غير المنحازة، وقيمة عدم انحيازها الحقيقية فى عالم منشق إلى معسكرين؛ لابد أن يصبحا الآن موضع تقدير. ولست أعتقد أن عدم الانحياز للشرق أو للغرب ممكن فحسب، بل أعتقد أنه لازم لزوماً جوهريًّا.

وليس معنى الحياد الصادق البقاء على الحياد فى كل أمر هام ينشأ، فمن المحال أن نقتل ضمير أمة من الأمم، وإنما معنى الحياد الصادق الحكم على كل مسألة بحسب حقيقتها، والتعبير عن الرأى دون التقيد بقيود الارتباط أو الأحلاف.

مورجان : وماذا عن مشكلة إسرائيل؟

الرئيس : إن وضع إسرائيل فى منطقتنا وضع لا سبيل إلى قبوله بتاتاً.. فليس فى إمكاننا أن نتراجع عن إصرارنا على الاعتراف بحقوق عرب فلسطين اعترافاً كاملاً، وأن ترد إلى المليون عربى اللاجئين فى قطاع غزة دورهم التى شردوا منها.. إن كل تفكير فى إجراء مفاوضات للصلح مع الإسرائيليين ضرب من المحال، حتى ولو كانوا على استعداد لأن يقدموا تعويضات مالية من نوع ما، محال أن تشترى وطن إنسان أو أن تبتاع روحه أو حقوقه الإنسانية الجوهرية.

ولسوف يسوى الحساب فى يوم من الأيام، وأعتقد أنه مما يساعد على ذلك أن نبنى اقتصاد العالم العربى، وأن نرفع مستوى معيشة أبنائه؛ لكى نبلغ المرحلة التى يتاح لنا فيها أن نمارس من الضغط على الإسرائيليين، ومن وراءهم، ما يجعلهم يدركون عبث مقاومتهم.

"مورجان :"لقد سمعت رأياً فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ينادى بانتخابكم رئيساً للجمهورية مدى الحياة ؟

الرئيس : ذلك أمر لا أتصوره، إن الشعب فى ظل الدستور الجديد يجب أن تكون له سلطة انتخاب رئيس جمهوريته، وليس من حق أحد أن يبقى رئيساً للجمهورية مدى الحياة؛ لأن ذلك يسقط عنصر المسئولية أمام الشعب .

"مورجان :"هل تعتقدون أن هناك حرباً عالمية محتملة؟

الرئيس : لست أعتقد – رغم ما يسود العالم من توترات – أن حرباً عالمية كبرى ستجتاح الدنيا، وأن محادثاتى مع "خروشوف" تجعلنى واثقاً من أن الروس لا يرغبون فى إشعالها .

"مورجان :"ما سبيل الجمهورية العربية إلى التأثير على العالم العربى؟

الرئيس : نحن نريد أن نتقدم لقيادة العالم العربى، لا بالضغط العسكرى ولا بالتهديد؛ ولكن بالمثل الصالح.. ولابد لنا أن نثبت بطريقة واضحة وقاطعة أن أفكارنا تحقق خير الشعب .

"مورجان :"وماذا عن علاقات الجمهورية العربية ببقية دول العالم؟

الرئيس : إن سياستنا هى السعى لإزالة الشكوك والريب حيثما وجدت فى علاقاتنا بغيرنا من الأمم، وأعتقد أننا سننجح فى ذلك.. فالفشل فى ذلك يكلفنا باهظاً.

١٩٦٢/٦/٢٥

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى الكلية الحربية بمناسبة يوم التدريب

■ بهذه المناسبة أحب أن أقول: إن الأمة والشعب لم تقصر فى إمداد قواتها المسلحة بكل ما تحتاج إليه. كان فيه هدف من أهدافنا، أهداف الثورة عزيزة على نفوسنا جميعاً، أعلن بعد ٢٣ يوليو سنة ٥٢، وهو إقامة جيش وطنى قوى.

النهار١٥ بعد عشر سنين من الثورة بنشعر أن هذا الهدف قد تحقق، ونشعر أيضاً أن، علينا واجب تدعيم هذا الهدف، الأمة لم تقصر مطلقاً فى أن تعطى أبناءها اللى قاموا فى ٢٣ يوليو علشان القضاء على الطغيان، والقضاء على الاستغلال، والقضاء على الإقطاع، والقضاء على سيطرة رأس المال، وإقامة عدالة اجتماعية، وكانوا الطليعة اللى خرجت لتضحى، وعلى استعداد لأن تقدم أرواحها فى سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية لأبناء الشعب جميعاً. أبناء الشعب بالتالى لم يقصروا فى أن يردوا لهذه القوات المسلحة هذا الصنيع، بتمكين القوات المسلحة من أن تحصل على أحدث الأسلحة، وتمكين القوات المسلحة من أن تحصل على ما تريد من جميع معدات القتال؛ حتى يتحقق فعلاً بناء الجيش الوطنى القوى.

فى العشر سنين اللى فاتت القوات المسلحة وقع عليها عبء كبير جدًّا فى حماية الثورة، وفى حماية أهداف الثورة؛ أى فى حماية الشعب وفى حماية أهداف الشعب. هذا العبء كان أكبر يمكن من طاقتنا، ولكننا لم نهتز، ولم نهب،

ولم نخف، وكانت الذروة فى سنة ١٩٥٦ لما واجهنا العدوان الثلاثى. باعتبر إن المعركة كانت بالنسبة لنا معركة مريرة.. معركة كبيرة، يمكن أكثر من قدرتنا، وطبعاً كانت أكثر من قدرتنا، وطبعاً كانت أكثر من إمكانياتنا، ولكننا رغم هـذا قاومنا.. قاومنا لأننا كنا نعلم أن هذه الأمة التى بذلت هى الاحتياطى الكبير الذى يسند قواته المسلحة، قاومنا لأننا كنا نعلم أن المبادئ التى نحميها هى مبادئ هذا الشعب .

تعرضنا لعدوان إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، وما نقدرش نقول أبداً إن القوات المسلحة لمصر فى هذا الوقت تستطيع أن تقف على نفس المستوى مع القـوات المسلحة لدولتين من الدول الكبرى؛ اللى هى فرنسا وبريطانيا، ولكن رغم هـذا أخذنا بتقاليدنا – تقاليد الشرف – وقاتلنا، وصممنا على أن نقاتل دولتـين مـن الدول الكبرى. وكنا نعتقد بهذا أننا لابد أن نعطى الدرس للعالم أجمع أن الدولـة الصغرى لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تقبل الهوان، أو تقبل العدوان من أى دولة، ولو كانت دولة من الدول الكبرى، أو دولتين من الدول الكبـرى. وأنـا باعتبر إن المثل اللى اديته القوات المسلحة فى سنة ٥٦، رغم الخسـائر اللـى قابلتنا فى المعدات وقابلتنا فى القوات – وأى حرب لابد أن تكون فيها خسـائر فى المعدات وفى القوات – هذا المثل سيبقى على مر التـاريخ مثـاراً للفخـر والإعجاب فى جميع أنحاء العالم .

موقفكم فى سنة ٥٦، موقف القوات المسلحة.. موقف الشعب هنا فى مصر فى سنة ٥٦ ضرب به الأمثال فى جميع أنحاء العالم، بل كان نقطة تحول فـى تاريخ العالم.. نقطة تحول فى تاريخ إفريقيا بالذات؛ لأن الـدول المسـتعمرة أو الشعوب المستعمرة آمنت – منذ هذا التاريخ – أن الدول الصغيرة، والشـعوب الصغيرة قد تستطيع أن تهزم الدول الكبيرة بالصبر، وبالإيمان، وبالتصميم على القتال .

معنى هذا إن الواجب اللى احنا قابلناه فى السنوات العشـر كـان واجـب صعب، ولكن القوات المسلحة قامت به بأمانة وشرف، لا من أجل فـرد، كـل

واحد بياخد يومينه.. بيعدى، ولكن من أجل المبادئ والمثل العليا. بنفخر.. بيفخر أبناؤنا إن احنا كنا فى هذه الأيام بنثبت هذه المبادئ، وبنثبت هذه المثل العليا، بنفخر.. وبيفخر أبناؤنا فى المستقبل إن احنا.. القوات المسلحة قامت فى ٢٣ يوليو سنة ٥٢ كطليعة لهذا الشعب من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال، واستطاعت أن تفى بوعدها، واستطاعت أن تحقق كلمتها .

بنفخر إن احنا طلعنا الإنجليز اللى قعدوا ٨٠ سنة يدوا الوعود ويتفاوضوا ولم يكن فى نيتهم أن يخرجوا، واللى كانوا بيحتلوا أرضنا وبيحتلوا منطقة القنال بـ ٨٠ ألف.. ولم نهاب، خرجوا الإنجليز، وبنفخر إن احنا - بعد خروج الإنجليز فى سنة ٥٦، وعودتهم مرة أخرى فى العدوان الثلاثى واحتلالهم لبورسعيد - استطعنا بقوة إيماننا، وقوة تصميمنا، وعزيمتنا - رغم الخسائر التى لحقت بنا فى هذا الوقت - أن نخرجهم مرة أخرى، ومعهم الاستعمار الفرنسى .

وبنفخر إن احنا ساندنا الشعب فى تحقيق أهدافه؛ أهدافه فى العدالة الاجتماعية.. أهدافه فى الحرية.. أهدافه فى المساواة.. أهدافه فى تكافؤ الفرص.. أهدافه فى القضاء على الإقطاع.. أهدافه فى القضاء على سيطرة رأس المال.. أهدافه فى القضاء على الاحتكار .

نفخر إن القوات المسلحة استطاعت فى هذه الأيام أن تكون الأمينة على هذه الأهداف، والأمينة على تحقيق هذه الأهداف. طبعاً القوات المسلحة هى الشعب.. القوات المسلحة كل فرد منها خرج من الشعب، بتمثل الفلاح.. بتمثل العامل.. بتمثل المثقف.. بتمثل الموظف.. بتمثل الرأسمالية الوطنية.. بتمثل تحالف الشعب بجميع فئاته وجميع قواه، ولهذا فإن القوات المسلحة تنفعل دائماً بانفعالات الشعب، وتحس دائماً بأحاسيس الشعب .

بعد عشر سنين النهارده بنبلور عملنا، فى سنة ٥٢ كان لنا ٦ أهداف؛ وهى: القضاء على الاستعمار، والقضاء على الإقطاع، والقضاء على سيطرة

رأس المال والاحتكار، وإقامة عدالة اجتماعية، وإقامة جيش وطنى قوى، وإقامة حياة ديمقراطية سليمة. وقمنا بدون تنظيم سياسى، قامت القوات المسلحة وأخذت المبادرة؛ لتقضى على الاستعمار وأعوان الاستعمار، وتقضى على الملكية التى مكنت للاستعمار فى بلدنا، وتقضى على الأحزاب الفاسدة التى تركت الاستعمار يمرح فى بلادنا، واتجهت إلى أن تحارب بعضها البعض، خرجت القوات المسلحة فى يوم ٢٣ يوليو علشان تحقق هذه الأهداف.

لم تكن لنا نظرية كاملة أو مفسرة، أو لم يكن لنا منهاج عمل غير الأهداف الستة، ولم يكن لنا تنظيم سياسى؛ لأن التنظيمات السياسية كانت الأحزاب، وقمنا نحن بحركة سرية من القوات المسلحة.

النهارده بعد ١٠ سنين أيضاً، نستطيع أن نفخر ونحن نرى ناتج هذا العمل فى الميثاق، الميثاق الذى يحقق أو الذى يوضح ويفسر ويبين آمال الشعب ويحددها، وأهداف الشعب فى الحرية والديمقراطية والاشتراكية التى نعنى بها العدالة الاجتماعية.

بعد ١٠ سنين بيكون فيه منهاج للعمل، وخط العمل موضح ومفسر، يجب علينا فى القوات المسلحة إن كل فرد من أفراد القوات المسلحة يكون على بينة من هذا المنهاج، هذا المنهاج هو توضيح وتفسير للمبادئ الستة اللى قمنا من أجلها فى ٢٣ يوليو سنة ٥٢.

أما بنتكلم على الاشتراكية النهارده بنوضح الاشتراكية، مش لأول مرة بنوضح الاشتراكية.. مش لأول مرة بنتكلم على الاشتراكية، من سنة ٥٥ بنتكلم على الاشتراكية، ٥٦ و٥٧ لغاية سنة ٦٢ بنتكلم على الاشتراكية. ولكن لم تكن هناك فرصة لتطبيق الاشتراكية فى هذه الأيام، فى سنة ٥٤ و٥٥ كنا مشغولين فى العمل على جلاء القوات البريطانية من بلدنا، وأن يرتفع فى سماء بلدنا ووطننا علمنا فقط، بعد كده بعد خروج القوات المحتلة واجهنا العدوان، ورغم

هذا كنا ننادى بإقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى متحرر من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى.

هذا هو ما نادينا به فى سنة ٥٢، ودا اللى نادينا بيه فى سنة ٥٥ و٥٦، ودا اللى بننادى به النهارده. سنة ٥٢ كان مبادئ ستة، فى سنة ٥٦ كان فيه شرح.. فيه خطب، وفيه تصريحات، فى سنة ٦٢ فيه ميثاق موضح فيه كل هذه النقط، وموضح فيه دليل العمل للمستقبل.

الاشتراكية هى الكفاية والعدل.. هى العدالة الاجتماعية.. هى التخلص من الاستغلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى. الاشتراكية بهذا المعنى هى شريعة العدل.. شريعة الله؛ لأن العدل.. شريعة العدل وشريعة الله تأبى أن يكون الغنى إرثاً، والفقر إرثاً.. تأبى أن تكون هناك طبقة قليلة تتمتع بكل خيرات هذا البلد، وأن يكون مجموع هذا البلد، أو أبناء هذا الشعب جميعاً، محرومين من كل شىء، وفى خدمة هذه الفئة القليلة. الـ ٥٠٠٠ شخص اللى طبقت عليهم القوانين الاشتراكية كانوا بيملكوا ٥٠٠ مليون جنيه، وباقى الشعب – ٢٨ مليون – طبعاً لا يملك يمكن عُشر هذا القدر.. شريعة العدل.. شريعة الله ترفض هذا وتأباه.. شريعة العدل.. شريعة الله هى إقامة العدالة الاجتماعية. هذه هى الاشتراكية التى نادينا بها والتى نعمل من أجلها.

من أول يوم من أيام الثورة واجهنا أعداء كثير ضد استقلالنا وضد تطويرنا، ضد تصنيعنا، ضد خلق بلدنا، واحنا نعلم ان احنا فى الماضى كنا دائماً نواجه من الدول المختلفة أو الدول الكبرى محاولات مستمرة علشان تمنع بلدنا من أن تأخذ مكانها الطبيعى أو تأخذ فرصتها.

امبارح أنا كنت فى زيارة للمعرض الصناعى، فى هذه الزيارة شفت ازاى فى المدة القليلة تطورنا، ماكناش بننتج شىء إلا يمكن بعض المنسوجات أو الغزل، النهارده بننتج كل شىء، اللى بيروح يزور المعرض الصناعى، امبارح أنا كنت فى المعرض الصناعى، ازاى تحولنا من دولة زراعية إلى دولة

صناعية، ازاى إنتاجنا الزراعى كان فى الأول هو كل شىء، النهارده إنتاجنا الصناعى قيمته أكتر من إنتاجنا الزراعى.

بنتطور وبنتحول فى جميع الميادين، كما نتطور ونقوى أنفسنا فى القوات المسلحة؛ من أجل إقامة جيش وطنى قوى. فى جميع الميادين نتطور، والصناعة فى هذا هى الأساس، الذى يمكن أن نبنى عليه الأمة، والذى يمكن أن نبنى بها الجيش الوطنى القوى.

أعداؤنا حاربونا باستمرار، ولكن لم ينجحوا، حاربونا بالإشاعات.. حاربونا بالحرب النفسية.. حاربونا بالإذاعات.. حاربونا بأعوانهم، أعوان الاستعمار.. حاربونا بالرجعية، ولكن فشلت كل هذه الأساليب. واستطعنا أن ننجح ونشق طريقنا، لا لسبب إلا لأننا نؤمن ببلادنا، ونؤمن بأهداف وطننا، ونؤمن أيضاً فى القوات المسلحة أننا عاهدنا الله وعاهدنا الوطن فى ٢٣ يوليو أن نحقق أهداف الشعب التى تمثلت فى الأهداف الستة.

وأنا قلت دائماً: إن القوات المسلحة كانت هى الأمينة، وهى الحارسة على أهداف الشعب، والجيش الوطنى القوى هو الجيش الذى يتحول إلى قوة وطنية تحمى الشعب ضد العدوان الخارجى، وتحمى أهداف الشعب فى الداخل، أهداف الشعب، أعلناها فى ٢٣ يوليو سنة ٥٢، ثم طورناها، ثم شرحناها، ثم تتبلور الآن فى ميثاق العمل الوطنى.

دور القوات المسلحة لم ينته بقيام الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ٥٢، أبداً، دور القوات المسلحة استمر حتى يومنا هذا، وسيستمر فى المستقبل. القوات المسلحة ليست معزولة عن الشعب بأى حال، ولكن القوات المسلحة هى جزء من هذا الشعب آلى على نفسه أن يكون الطليعة؛ ليحمى أهداف الشعب، ويحمى هذا الشعب ومقوماته، يحمى الشعب ومقوماته ضد أى عدوان خارجى، ولو كان من الدول الكبرى، ويحمى أهداف الشعب فى العدالة الاجتماعية، وفى إقامة حياة

ترفرف عليها الرفاهية، وفى إقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى، متحـــرر من الاستغلال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى.

وحدة القوات المسلحة وصلابة القوات المسلحة فى مجابهة هذه المسئوليات -وأنا باعترف إن هذه المسئوليات يمكن كانت أكبر من طاقاتنا، ولكنا جابهناها- مكنت الثورة من انها تستمر هذه السنوات العشر، وعلى القوات المســلحة فـــى المستقبل أيضاً أن تكون أصلب عوداً حتى تتحقق هذه الأهداف.

قابلتنا نكسة فى سنة ٦١؛ وهى الانقلاب الانفصالى الرجعى فـــى ســـوريا، كلنا نعرف - زى ما بندرس فى القوات المسلحة - أن كل المعارك فيها تقـــدم، وفيها انسحاب، وفيها دفاع، فى نفس الشىء احنا فى معركتنا الوطنيـــة، ونحـــن نجابه أعداءنا، بنطبق أو قد نجابه نفس الأساليب.

من أول يوم من أيام الوحدة مع سوريا، انبرى لنـــا جميـــع أعـــداء الأمـــة العربية، كل أعداء القومية العربية، الصهيونية التى لا تقبل للأمـــة العربيـــة أن تتحد سواء فى الأهداف أو تتوحد كأمة عربية واحدة، الاستعمار الذى يريد هذه المنطقة فى داخل مناطق النفوذ، وأيضاً الرجعية العربية التى تريـــد أن تحـــافظ على الإقطاع وعلى الاستغلال وعلى سيطرتها.. سيطرتها الاقتصادية وسيطرتها الاجتماعية وسيطرتها السياسية، وأيضاً الأحزاب الشيوعية التى كانت لا تـــؤمن بالعروبة، ولا تؤمن بالقومية، ولكنها تؤمن بالشعوبية، وكانت ضـــد أى وحـــدة عربية.

من أول يوم من أيام الوحدة انبرت لنا هذه القوى لتقضى على الوحدة، كان العدو اللى احنا بنجابهه عدو قوى، جبهاته متعددة؛ حلف بغداد.. الملك حسين.. الرجعية فى كل هذه المنطقة.. الملك سعود من أول يوم من أيام الوحـــدة تـــآمر بالـــ ٢ مليون جنيه، ثم بعد هذا بعد قيام الوحدة بدأنا نجابه الأطماع والانتهازية الحزبية؛ الانتهازية الحزبية التى كانت تريد أن تتحكم فى ســـوريا، وتريـــد أن تجعل الوحدة ستاراً لتتحكم فى سوريا، كان ضررها بالغاً، يساوى أو أكبر مـــن

ضرر هجمات الاستعمار وأعوان الاستعمار؛ لأنها اعتبرت أن الغاية تبرر الواسطة، واتبعت كل الأساليب من أجل تحقيق أهدافها.. أساليب التضليل.. أساليب الكذب.. أساليب الخداع.

كانت فى هذه الفئات أحزاب الرجعية، وكانت هناك أيضاً أحزاب تعلن أنها اشتراكية أو وحدوية، ولكن كانت الاشتراكية شعارات، والوحدة شعارات، وكان الهدف هو التحكم والسلطان، ولما لم يجدوا فرصة للتحكم أو فرصة للسلطان انقلبوا على الوحدة، وانقلبوا على الاشتراكية، وانقلبوا على الشعب السورى، وأصبحوا أعوان أو مؤازرين لأعداء الأمة العربية ولأعداء الشعب السورى.

مثل هؤلاء جميعاً أكرم الحورانى فى سوريا؛ اللى كان بيعتبر إن هو زعيم للوحدة، ومنادى بالوحدة، ومنادى بالاشتراكية، وهو اليوم أكبر أعداء الوحدة، وأكبر أعداء الاشتراكية، ارتمى فى أحضان الرجعية العربية، بيصرف من أموال الرجعية العربية فى محاربة الوحدة، وفى محاربة الاشتراكية، سلاحه هو سلاح الأكاذيب.. سلاحه هو سلاح النفاق، طبعاً سلاح الأكاذيب وسلاح النفاق استخدم دائماً وجربناه فى السنين الـ ١٠ اللى فاتت؛ لأن سلاح الأكاذيب هو سلاح غير القوى، سلاح الأكاذيب هو سلاح الشخص غير المطمئن لقدرته.. سلاح الأكاذيب هو سلاح الشخص اللى عايز يأخذ ثقة الناس، وهو على ثقة أن الناس لن تثق فيه.. سلاح الأكاذيب هو سلاح الأحقاد.. سلاح الضغائن.

هذه هى العوامل اللى قابلتنا بعد الوحدة من أجل القضاء على الوحدة.

وأنا أما أذكر الأفراد السيئين، أو أذكر الأفراد اللى خانوا أهدافهم، وخانوا قضيتهم، وخانوا شعبهم، أو أقول عن أكرم الحورانى إنه ارتمى فى أحضان الرجعية والاستعمار ضد الوحدة، وضد الاشتراكية، باقول أيضاً إن فيه ناس كويسين، الشعب السورى كله فيه ناس كويسين، مثلاً من ضمن الوزراء اللى اشتغلوا معانا كان فيه نهاد القاسم، أحد الوزراء السوريين اللى كان باستمرار يتكلم بصراحة، وأى شىء ما يعجبوش ينتقده، وحتى كانوا بعض الناس بيعتبروه

إنه فى هذا يمكن كان قاسى فى انتقاداته باستمرار، أنا كنت باستمرار باعتبره الرجل الأمين، اللى إذا وجد غلط يتكلم عليه.

بعد الانفصال، وقف هذا الشخص موقف شريف.. موقف مع الوحدة.. موقف مع الشعب السورى.. موقف مع الشعب العربى كله، كان شريفًا فى جميع مواقفه، حينما كان يعارض كان رجلاً شريفًا، أما كان بييجى يتكلم معايا فى المواضيع كان رجلاً شريفًا، بعكس أكرم الحورانى فى هذه الأيام، كان يمثل الانتهازية السياسية.

إذًا احنا فى سيرنا حينما ننتكس أو نقابل هزيمة لازم نأخذ منها دروس؛ لنتجه إلى المستقبل.. استطاعت الرجعية، واستطاعت الانتهازية، واستطاعت الأكاذيب، واستطاع التضليل أن يقسم الشعب السورى، ويقسم الجيش السورى، الجيش السورى بيمثل الجيش الطيب، الشعب العربى الطيب، الفرد السورى الطيب، ولكن هذه الطيبة استغلت بواسطة هذه الفئات السيئة علشان فصل الوحدة، ولن تنتهى محاولات أعدائنا باستمرار؛ حتى تضعف الأمة العربية وتخضع للاستعمار، أو تخضع للصهيونية، لن يقف أعداؤنا عن مهاجمتنا.

ولهذا - بجوار التدريب فى القوات المسلحة - يجب أن نكون على درجة كبيرة من الوعى.. الوعى؛ زى ما بنعرف إزاى الجماعة بتقاتل، والفصيلة بتقاتل، والسرية.. لازم نعرف جميع أحوال بلدنا؛ لأن احنا - القوات المسلحة - لا زلنا الطليعة التى تحمى هذه الأهداف.

النهارده الشغل فى السياسة، أو دراسة الأمور السياسية معنى يختلف عن الماضى؛ لأن فى الماضى كان الشغل بالسياسة هو الانتساب إلى الأحزاب، وكانت الأحزاب عبارة عن تقسيم البلد وتفتيتها، وكان هناك صراع طبقى. النهارده بنقول إن البلد كلها بتكون وحدة وطنية، وإن هناك تحالف بين قوى الشعب المختلفة؛ اللى هى العمال، والفلاحين، والجنود، والمثقفين، والرأسمالية الوطنية.

إذاً يجب على كل فرد من أفراد القوات المسلحة أن يكون على بينة كاملة، وعلى وعى كامل بجميع الأمور السياسية التى تجرى فى بلادنا؛ حتى لا يتمكن أعداؤنا من إنهم يستغلوا طيبتنا، أو يستغلوا عدم وعينا، أو يستغلوا عدم معرفتنا بأى حال من الأحوال.

احنا النهارده بنبحث كيف تشترك القوات المسلحة فى العمل السياسى؟ كيف تشترك القوات المسلحة فى الاتحاد الاشتراكى القومى؟ لأن احنا لا يمكن أن نهمل القوات المسلحة كجزء.. كقوة كبيرة من ضمن قوى الشعب المتحالفة؛ من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، ومن أجل تدعيم الأهداف.

النهارده أيضاً بندرس كيف تشترك القوات المسلحة فى العمل السياسى.. فى المجالس كلها.. فى مجلس الأمة كيف ندمج القوات المسلحة مع الشعب، وكيف نقيم من القوات المسلحة وقوى الشعب العاملة درع ضد أعدائنا؛ الصهيونية، والاستعمار، والرجعية، والانتهازية، وكيف نستطيع - بواسطة هذا الدرع الواقى - أن نبنى بلدنا، ونقيم بين أرجائها حياة ترفرف عليها الرفاهية. والله يوفقكم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

١٩٦٢/٦/٢٦

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

إلى أعضاء المجلس التشريعى الفلسطينى

■ **أيها الإخوة:**

مناسبة سعيدة هذا الاجتماع بعد تكوين المجلس التشريعى بعد صدور الدستور لقطاع غزة، وأرجو من الله أن يجمعنا دائماً فى مناسبات أسعد؛ يجمعنا وقد عادت حقوق شعب فلسطين إلى شعب فلسطين.. قضية فلسطين وقضية شعب فلسطين هى قضية كل عربى حر، الشعب هنا فى الجمهورية العربية المتحدة يشعر كما يشعر أبناء فلسطين نحو فلسطين، الشعب فى سوريا.. وأنا أذكر حينما كنت أذهب إلى سوريا بجميع محافظاتها، كنت أتكلم عن التنمية أو عن التخطيط فكان الشعب يتتبع، ولكنى حينما كنت أتكلم عن فلسطين والقضية الفلسطينية والوحدة العربية، كان الشعب يخرج عن صوابه.

هذا هو الشعب العربى فى كل مكان من الوطن العربى، ولكن الظروف التى مرت بها أمتنا هى التى تسببت فيما حدث فى سنة ٤٨؛ الظروف ماكانتش بنت سنة ٤٨ بس، أبداً؛ من الحرب العالمية الأولى، من وعد "بلفور"، من بعد الحرب العالمية الأولى، من المفاوضات المختلفة اللى حصلت، من المساومات اللى حصلت إلى سنة ٤٨.

فى سنة ٤٨ كانت مصر تحت سيطرة الإنجليز، كان عندنا هنا جيش احتلال، وكانت العراق أيضاً تحت سيطرة الإنجليز.. وكان الأردن تحت سيطرة

الإنجليز.. وكانت السعودية تحت سيطرة الأمريكان.. كلنا بنعرف هذا، ماكانش فيه جيش فى مصر، احنا كان عندنا فى سنة ٤٨ تسع كتائب كان واحدة منها فى السودان، دخلنا الحرب بـ ٣ كتائب، وكل كتيبة كانت ٨٠٠ عسكرى و٨٣٠ عسكرى، اللى كانوا موجودين فى الوقت دا فى رفح وفى غزة بيفتكروا إن احنا ماكانش فيه ٤٠٠٠ عسكرى فى الحرب من أول يوم.

أنا رحت يوم ١٦ مايو وصلت إلى رفح ماكانش فيه جيش ليقاتل، يمكن كانت الجيوش العربية داخلة علشان تنفذ التقسيم، ودا السبب اللى الجيش المصرى كان ماشى على الساحل لغاية أسدود؛ علشان ينفذ الخطة اللى موجودة بالتقسيم، ماكانش دا الكلام اللى اتقال، والجيش بتاع الملك عبد الله داخل برضه على خطة التقسيم، وبعد كدا ترك اللد والرملة، وأنا باعتبر إن سبب النكبة فى سنة ٤٨ العرب أكثر من اليهود.

فى سنة ٤٨ راحت مننا مواقع بدون قتال، اللى كانوا موجودين فى الفالوجا أو اللى كانوا موجودين فى عراق المنشية أو اللى كانوا موجودين فى بيت جبرين، بيت جبرين راحت بدون قتال، الخط الموجود على ذكرين ودير الدبان ودير أبان وبير الجمال وكل المنطقة دى راحت بدون قتال، ما حصلش فيها ولا رصاصة، الدوايمة راحت بدون قتال، المنطقة دى كلها راحت بدون قتال، مافيش ولا رصاصة، كل هذه المناطق لم يحدث قتال، كل دا خدوه اليهود بلاش، اللى هم بيتجدعنوا وبيقولوا فى العالم إنهم حاربوا وكسبوا معركة سنة ٤٨.

فى سنة ٤٨ حاربنا، فى سنة ٤٨ احنا - جزء من الجيش المصرى - حوصر فى الفالوجا وفى عراق المنشية، وأنا شفت الفلسطينيين كانوا فى عراق المنشية، وكان معانا مختار عراق المنشية.. الشيخ خالد، وكان بيطلع... ولاده ماتوا قدامى وقدامه وماكانش بيلتفت لواحد من أولاده. وكان الدم الفلسطينى والدم المصرى يومها - فى هذا اليوم - ١٥٠ من الكتيبة قتلوا.. الكتيبة المصرية، عدد كبير من الفلسطينيين المناضلين قتلوا، ودخلوا اليهود أخدوا تلتين عراق المنشية، ولكن لم يتمكنوا من الصمود، واستطعنا إن احنا نعيد الاستيلاء

على مواقعنا، وتكبد اليهود فى هذا اليوم – يوم ٢٨ ديسمبر سنة ٤٨ – خسائر حوالى ٤٠٠ قتيل واحنا دفناهم. وأنا رحت بعد انتهاء الحرب وبعد الهدنة إلى عراق المنشية رحت سنة ٥٠.. فى يناير سنة ٥٠، ودخلت بواسطة رجال الهدنة علشان أورى اليهود المقابر بتاعت هؤلاء الجنود لإن ما قدروش يعرفوا المقابر، وطالبوا من لجان الهدنة إنهم يبعتوا حد من هنا يوريهم المقابر، والجيش فى مصر بعتنى علشان أعين لهم المقابر، وكنا بنتبادل الجثث، يعنى كانوا بيدونا جثث المصريين وبياخدوا... بيخلونا ننقل جثث المصريين من جوا؛ لإن احنا سبنا جثث المصريين فى المناطق اللى الموجودة فى شمال النقب.

معركة ٤٨ راحت بلاش، معركة ٤٨ ما حاربتهاش إسرائيل ولكن حاربتها قوى الاستعمار وأعوان الاستعمار، معركة ٤٨ ماكناش أحرار ماكانتش إرادتنا ملك لنا.

دخلنا الحرب سنة ٤٨ ماكانش عندنا دبابة واحدة، اليهود أيضاً ماكانش عندهم دبابات، لكن بعد فترة اليهود جابوا، هجموا علينا فى عراق المنشية بدبابات لكن احنا ما قدرناش نجيب دبابات، اليهود جابوا أسلحة، جابوا قاذفات لهب، وجابوا أسلحة من الدول الغربية، واحنا كانت ذخيرتنا بتنقص ومانقدرش نستعوض هذه الذخيرة.

اليهود ضحكوا علينا بالخديعة، واليهود مش هم إسرائيل بس؛ اليهود هم إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل، ودا العدو اللى يجب إن احنا باستمرار نعمل حسابه. فى سنة ٤٨ احنا العرب اللى كنا مسئولين عن هذه النكبة، مش نتيجة ٤٨، نتيجة ٤٨ وقبل ٤٨.

اللى عايز يحارب لازم يستعد قبل ما يحارب، اللى عايز يحقق هدفه ما يقامرش بمصير بلده أو بمصائر الآخرين، لازم يستعد علشان يحارب، اللى ما بيستعدش واللى بياخد الحرب خطب رنانة أو ياخدها مزايدات سياسية ويضيع

مصائر الناس أو يضيع مصير شعب بيبقى خائن فى حق وطنه وخائن فى حق شعبه وخائن فى حق نفسه.

القائد اللى يكون على غير استعداد ويحاول يوهم الناس إنه مستعد، القائد اللى مش واثق من النصر ويحاول إنه يوهم الناس ان النصر قريب منهم وقريب المنال بيبقى خائن فى حق بلده وخائن فى حق وطنه؛ "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" لازم.. لازم نعد نفسنا ما نتكلمش ولا نعملش مزايدات سياسية، ولا نغرقش الناس فى الأوهام والآمال ونحن لسنا على استعداد.. لازم نستعد.. الاستعداد مش بس بالقوة، الاستعداد بالقوة والأخلاق؛ سبب نكبتنا فى سنة ٤٨ الأخلاق، إن لو كانت الأخلاق متوافرة كنا استطعنا إن احنا نوفر السلاح، ماكانوش السياسيين ضحكوا علينا وضحكوا عليكم وضحكوا على الناس، كانت الأمور عرضت بوضوح وبصراحة. لو كانت الأخلاق متوافرة ماكانتش النكبة حصلت كنا استعدينا زى اليهود ما استعدوا، كانت أموال العرب اندفعت لفلسطين علشان الفلسطينيين يسلحوا نفسهم، كان ممكن بالمال نجيب أى حاجة، ممكن بالمال نجيب أسلحة زى اليهود ما جابوا أسلحة وهربوا أسلحة، ممكن بالمال الفلسطينيين كانوا يجيبوا طيارات ويجيبوا كمان طيارين؛ بالمال كان بيعمل كل شىء، لكن هل حد دفع؟ أبداً، خطب وبرقيات واجتماعات وابتسامات واحنا عملنا كذا وكذا والخطط الموضوعة وضحك على عقولنا جميعاً؛ وبهذا خسرنا القضية فى سنة ٤٨، هى مرحلة نبهتنا، لكن الأخلاق هى الأساس.

إذا كنا بنتكلم على حقوق شعب فلسطين واستعادة شعب فلسطين بيكون سبيلنا إلى هذا الأخلاق، مش بس بالنسبة لفلسطين أو بالنسبة لقطاع غزة ولكن بالنسبة لجميع الدول العربية. الشعب العربى شعب مستعد يضحى بالمال ومستعد يضحى بالروح ومستعد يضحى بالدم دائماً، ولكن باستمرار بيظهر بعض الناس بيخدعوه أو بعض الناس بيضللوه كما ضُلِّلنا فى سنة ٤٨، وولينا القيادة للملك عبد الله، مين كان قائد الجيوش العربية سنة ٤٨؟ ازاى بس الملك عبد الله اللى

هو بيشتغل تحت إدارة "جلوب"، أو اللى "جلوب" مسئول عن قواته واللى هو فى جيب بريطانيا بيقود الجيوش العربية لتحرير فلسطين إلا إذا كنا بنضحك على نفسنا؟ قطعاً كنا بنضحك على نفسنا.

دا اللى حصل سنة ٤٨، كل واحد كان مشغول فى أحواله، كل واحد بيحاول بيقوم بدوره، لكن بمجرد ما تناسينا.. مجرد ما انضحك علينا نبقى خسرنا القضية، ودا اللى حصل سنة ٤٨. مجرد تولى الملك عبد الله قيادة الجيوش العربية – أى واحد بيفهم – معناه إن العملية مش عملية جدية؛ لإنك تبقى تمام مسكت "تشرشل" قيادة الجيوش العربية، وإذا مسكت "تشرشل" قيادة الجيوش العربية تبقى الجيوش العربية حتشتغل ضد اليهود؟ طب ما هو مين اللى ادى فلسطين لليهود؟ طب ما هم الإنجليز اللى كانوا قائمين بالانتداب وسابوا فلسطين ومشيوا علشان اليهود ياخدوها، ولكن رغم هذا ماحدش اتكلم.. ماحدش تنبه للاستعداد.

عملت إيه القيادات اللى كانت موجودة فى فلسطين فى هذا الوقت؟ كانت موجودة هنا فى القاهرة، كان موجود هنا الحاج أمين فى سنة ٤٧، وأنا رحت للحاج أمين وقلت له: إن أنا مستعد أدخل مع عدد من الضباط إلى فلسطين، وكتبت هذا الكلام اتنشر علشان ننظم الدفاع عن فلسطين، ورحت له فى بيته فى الزيتون وكان معايا أحد الضباط؛ لإن المعركة قادمة، إذا لم ننظم الدفاع على أساس علمى سليم تبقى المعركة بتروح، وقلت له: إن أنا معايا عدد كبير من ضباط الجيش مستعدين بيسيبوا ولادهم وبيسيبوا أهلهم وبيدخلوا فلسطين ينظموا، ناس خبراء فى هذا العمل. ينظموا الدفاع من سنة ٤٧ – قبل النكبة بسنة – طبعاً ماكانش فيه نتيجة لهذا، جت سنة ٤٨ وأُخذنا جميعاً على غرة. أنا شفت فى سنة ٤٨ وأنا فى أسدود الناس اللاجئين جايين، بييجوا اليهود على القرى بيضربوها بالهاونات الناس بتهرب وبتجرى، شفت الناس جايه من المناطق قدام أسدود بعد الحرب بـ ٤ أيام و٥ أيام ماكناش بنقدر نعمل حاجة، ماحدش أبداً

خطط، ماحدش فكر، عمل ارتجالى، أى عمل ارتجالى لا يمكن لـــه أن يـــنجح، ولكن بتكون المصائب اللى تنتج عنه أكثر من الخير اللى ممكن ينتج عنه.

زى ما باقول إن القوة لازمة.. الأخلاق لازمة، واحنا نكبنا فى السياســيين فى البلاد العربية من الناحية الأخلاقية؛ السياسى اللى بياخـــد السياســة حرفـــة ويحترفها وبينسى بلده وبينسى أهداف وطنه وبينسى أمانى شعبه وبينســـى آلام شعبه ويفكر فى نفسه بس، على أساس أن الغاية تبرر الواسطة.. على أســـاس الخداع.. على أساس ترك الأخلاق وراء الظهر، بيبقى سياسى منحرف، وعلينا جميعاً إن احنا بنعرفه وبنكشفه وبنفضحه.

وأنا أقول هذا الكلام يمكن تعليقاً على بيان أذاعه أحد السياسيين فى سوريا وهو أكرم الحورانى، وقال: إن جمال عبد الناصر بيساوم على قضية فلســطين، أكرم الحورانى طالع من أجل أن يدافع عن نفسه، أو أن يقـــوى نفســـه بيعمـــل بيانات كل يوم بيحط فيها الاتهامات. الناس كلها بتعرف من هو أكرم الحورانى ومن هو جمال عبد الناصر، كل واحد طبعاً بيقدر يعرف من هو المرتد ومن هو المنحرف؛ أكرم الحورانى نادى بالوحـــدة ونـــادى بالقوميـــة العربيـــة ونـــادى بالاشتراكية، واشترك معانا فى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، كما اشـــترك معانا عدد من إخوانّا السوريين، ولكن الواحد من أول يوم كان بيعرف الناحيـــة الأخلاقية فى كل فرد منهم، كان بيبان بالنسبة لأكرم الحورانى من أول يوم، وأنا ماكنتش أعرفه قبل كدا أبداً، كان بيظهر وكان بيكشف نفسه لما كان بيسب فـــى زملائه فى حزب البعث؛ ميشيل عفلق وصلاح البيطار، ماكانش دا أبداً يـــدعو إلى الاحترام؛ ولكن كان يدل على أن هناك نقصًا فى النواحى الأخلاقية الخاصة بأكرم الحورانى المرتد. كنت أنا باشعر إن فيه أمل للإصلاح وأمل فى اللم.

ناقشنا مرة موضوع فلسطين فى مجلس الوزرا وكان هذا النقاش بناء عـــن طلبى أنا. ماكانش موضوع فلسطين بالذات ولكن كان موضـــوع نهـــر الأردن، وأنا قلت: إن فى سنة ٦٣ إسرائيل حتكون مستعدة لتحويل نهر الأردن، احنا من

سنة ٥٩ لازم نستعد ولازم نكون عندنا خطط ولازم نكون مدبرين نفسنا، بنبحث الناحية السياسية وبنبحث الناحية الفنية من دلوقت، وعملنا لجنة بتبحث هذا الموضوع، وكانت تهدف إلى حرمان إسرائيل من موارد المياه العربية؛ لإن فيه مياه من سوريا بتروح ومن لبنان بتروح إلى نهر الأردن، واحنا نستطيع إن احنا نحول هذه المياه لاستخدامها فى أراضينا، وبهذا نحرم إسرائيل من أن تحقق هدفها، أظن دا أول عمل فنى وبعدين بيبقى فيه أعمال سياسية، وبعدين بنفكر فى النواحى العسكرية. بعد البحث أكرم الحورانى تارك بحث الموضوع كله وقال: إن احنا نقوم بعمليات شبه عسكرية، ما هى العمليات شبه العسكرية؟! يا إما نقوم بعمليات عسكرية، يا إما نقوم بعمليات سياسية ودا الأمر، وإذا كنا حنقوم بعمليات عسكرية لازم نكون على استعداد إن احنا نقوم بعملياتنا العسكرية، وإذا مش كنا على استعداد بنحسب حسابنا ونخلى نفسنا على استعداد؛ بحيث إن احنا ما ندخلش ويحصل لنا اللى حصل لنا فى سنة ٤٨.

أما أن نزيِّف ونقول كلام فارغ.. نقول عمليات شبه عسكرية.. إيه العمليات شبه العسكرية؟! إذا أنا قمت بعمليات شبه عسكرية، طب ازاى حاضمن إن "بن جوريون" حيقوم بعمليات شبه عسكرية مش حيقوم بعمليات عسكرية هو كمان؟ هو أنا حافرض رأيى على نفسى وحافرض رأيى على "بن جوريون"؟! أنا يوم ما أقرر قرار، لازم أكون على ثقة من إنى حاقدر أفرض رأيى على قواتى، وحاقدر أفرض قواتى على "بن جوريون" نفسه وعلى اللى ورا "بن جوريون"، وإلا أبقى باقامر بمصير بلدى وأدخل فى نكبة تانية زى النكبة اللى دخلنا فيها فى سنة ٤٨، وأبص ألاقى دمشق على بعد ٦٠ كيلو من إسرائيل واليهود بدل ما أخدوا جزء من الوطن العربى بنبص نلاقيهم وصلوا الى دمشق، بيقول إزاى إن احنا الجيش السورى والقوات السورية؟ آه الجيش السورى والقوات السورية حتقوم بواجبها، ولكن هناك أساليب وهناك خطط كلنا عارفينها، عارفين الملك حسين وعارفين التفافات من وسائل أخرى ومن نواحى أخرى، وعاملين خطط فى هذا، لازم نكون على استعداد.

اللى باقصده من هذا إن الدجل السياسى وأما نتكلم ونقوم بعمليات شبه عسكرية ونحارب ونعمل واحنا مش حاسبين، نقوم نحارب قبل ما نحسب! اللى يقول نحارب قبل ما نحسب يبقى خائن فى حق بلده وخائن فى حق شعبه ومقامر ببلده ومقامر بشعبه، أحسب قابْله وبعدين أقول هل ححارب واللا مش ححارب، العملية ماهياش جعجعة بالكلام الفارغ؛ العملية عملية مصير، عملية حياة، عملية موت.

لو كنا حسبنا فى سنة ٤٧ ماكانش اللى حصل لنا فى سنة ٤٨ حصل، ولكن ماحدش حسب حاجة؛ احنا هنا فى مصر قرروا الحرب امتى؟ قبلها يمكن بأسبوع أو بعشر أيام، ماكانش فيه فى حدود فلسطين إلا لواء واحد – تلات كتائب – موجود فى العريش، ماكانش فيه ذخيرة مشونة ماكانش فيه خطوط إمدادات، دا أنا رحت غزة وكنت باشترى للعساكر أكل جبنة وزيتون من غزة بنفسى، أكل طوارئ ماكانش عندنا تعيينات طوارئ، كنا بنشترى بالفلوس من غزة جبنة وزيتون للعساكر اللى طالعة تحارب علشان تاكل، كنا خدنا العربيات من بميا علشان ننقل بها الجيش، جيش إيه اللى بيدخل يحارب بهذا الشكل؟! يعنى كان أفضل إنه ما يحاربش، وكان أجرأ وأجدع لهم إنهم يقولوا إن احنا ما نحاربش لإن العملية بهذا... أو بنترك الشعب الفلسطينى بندى له السلاح وبندى له الذخيرة والشعب الفلسطينى يقاتل.

لكن الشعب الفلسطينى شايف ٧ دول عربية داخلين يقاتلوا، اطمأن خالص واعتبر إن العملية... سبع دول وسبع ملوك ورويسا ورياسات أركانات حرب وبيارق وعمليات بهذا الشكل، افتكر إن تحت القبة شيخ، لكن طلع الشيخ "تشرشل"!

دا الكلام دا اللى لازم نفهمه والكلام دا اللى لازم نعرفه، ولازم نستعد وسِبْنا من الكلام الفارغ والجعجعة وضحك السياسيين والمتاجرة بقضية فلسطين.

بيقف الأستاذ أكرم الحورانى المرتد بيخدم مين بقى بالكلام دا أما بيقف بيقول؟ تصبح الصبح تلاقى إذاعة عمان بتذيعه وإذاعة إسرائيل بتذيعه وإذاعة لندن بتذيعه، بيخدم أعداء الأمة العربية وأعداء الوحدة العربية، وهو بيعتقد إنه بهذا قد يستطيع أن يثبت أقدامه فى سوريا وقد يستطيع أن يحقق هدفه، أنا على ثقة إن الشعب السورى لن يمكن للحورانى المرتد والمنحرف من نفسه؛ لإنه بيعرف إنه يفتقد شىء كبير وهو القيم الأخلاقية.

اشتغلنا مع سوريين.. كان معايا سوريين كتير، كان معايا نهاد القاسم وعبد الوهاب حومد وعدد كبير من السوريين، والطرابلسى وفريد زين الدين وماحدش منهم اتكلم، حضروا هذه المناقشات وعارفين، بل بالعكس موقفهم كان الموقف السليم اللى إن دل على شىء فيدل على القيم الأخلاقية، يمكن ميزتهم الأساسية إنهم مش محترفين سياسة، مش دجالين زى المرتد أكرم الحورانى.

أما أكرم الحورانى فهو محترف سياسة.. بيتاجر بالسياسة، بدُه يوصل إلى رياسة الجمهورية السورية ولو على جماجم الشعب السورى كله والشعب العربى كله، وهو بده يحقق لنفسه أمنيته، دا الفرق بين الناحية الأخلاقية والتجرد من الأخلاق، التجرد من الأخلاق بيبيح للإنسان انه يفعل أى شىء لإنه بقى تاجر سياسة، بقى تاجر سياسة بيساوم، ما عندوش مانع إنه يبيع شعبه برئاسة جمهورية سنتين أو رئاسة جمهورية خمس سنين.

احنا علينا إن احنا نتمسك بالقيم الأخلاقية.. وعلينا إن احنا نعمل ونستعد وننبذ الأساليب والقيم اللى بيقوموا بها تجار السياسة، حنختلف على إيه؟ دا احنا لابد إن احنا نتحد، ولابد إن احنا ننبذ الخلاف لإن احنا قدامنا قضية من أصعب القضايا فى العالم، وأنا باقول لكم قضية فلسطين مش سهلة، اللى حيقول لكم قضيتكم سهلة يبقى بيضحك عليكم؛ قضية فلسطين أصعب القضايا فى العالم؛ لأنها ليست إسرائيل وحدها ولكن لأنها إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل، ولكن طبعاً بعون الله.. ربنا أكبر من اللى ورا إسرائيل، واحنا ناس مؤمنين، بهذا الإيمان بنستطيع إن احنا نحقق هدفنا.

طبعاً الوحـــدة العربية كانت عامل مساعد، الوحـــدة العربية كانت بالنســـبة لـــ "بن جوريون" البلاء الأكبر، يمكن بتسمعوا محطة إســـرائيل وبتشـــوفوا أو بتسمعوا أو بتقرأوا إيه اللى بتردده محطة إســـرائيل باســـتمرار، العـــدو الأول لإسرائيل هى القاهرة، ما عمرناش شفنا إسرائيل هاجمـــت حســـين ولا أكـــرم الحورانى، بل بتستخدم كلام حسين وأكرم الحورانى ضد القاهرة.

تفتح راديو إسرائيل... أنا باقرا إذاعة إسرائيل يومياً ودا جزء من شغلى ان اقرا كل ما تذيعه إسرائيل يوميًّا، اللى بتذيعه إسرائيل هى محاولة بذر الشـــقاق، هدفها محاولة بذر الشقاق بين العرب، محاولة تفتيت العرب؛ لأن تفتيت العرب هو اللى بيمكن إسرائيل من أن يقوا، وإنهم يجدوا الأمل فى حل قضـــاياهم. مـــا شفناش إسرائيل فى يوم قامت بحملة على الملك سعود أو على الملك حسين، بل بتردد ما يقوله الملك سعود أو الملك حسين، ما هاجمتش إسرائيل أبـــداً أكـــرم الحورانى ولا الحكومة الانفصالية فى سوريا، بل أقامت مـــن نفســـها المـــدافع الأول، ما هاجمتش عبد الكريم قاسم علشان استعاد فلسطين على الخريطة أبداً، هى يهمها جدًّا إن احنا نستعيد فلسطين بالخطب ونستعيد فلسطين على الخرايط، دا طبعاً يهمهم جدًّا، ولكن إسرائيل أو إذاعة إسرائيل لا تهاجم إلا القاهرة، ليـــه؟ لأنها تعلم أن القاهرة هى التى تملك القدرة، وتملك الإمكانيات التى تساعد علـــى استعادة حقوق شعب فلسطين، دا بتعرفه إسرائيل.

بيتكلم الملك حسين ويقول، هل إسرائيل بتبص للملك حســـين بنـــوع مـــن الاعتبار؟! أبداً لأن هى والملك حسين بيشتغلوا فى مخطط واحد، الملك حســـين تابع لبريطانيا، وإسرائيل تابعة للاستعمار، والاتنين سيدهم واحد. بل بنجـــد إن هناك اتفاق فيما تذيعه إسرائيل وما تذيعه عمان، يمكن بتسمعوا إسرائيل فى غزة وبتسمعوا عمان، بتلاقيهم الاتنين كإن فيه واحـــد مخطط لهـــم السياســـة اللـــى بيتكلموا عليها. بعدين بتطلع الأصوات الانفصالية.. الأصوات الرجعية بتجد انها برضه بتضرب على نفس النغم؛ التسلط المصرى. احنا يمكن آمنا بالوحدة هنـــا بعد ما آمن بها الشعب السورى، يعنى الشعب السورى كان بينادى بالوحدة قبل

ما ينادى بها الشعب فى مصر؛ لأن فى مصر كان فيه هنـــاك تيـــار للعزلـــة، وبعدين احنا تبنينا هذه الشعارات وبعدين وقعت الوحدة، إذًا احنا أخذنا الشعارات عن الشعب السورى، بيحولوا الموضوع إلى تسلط، بيحولـــوا الموضـــوع إلـــى تحكم.

طبعاً فى أى تجربة بهذا الشكل لابد أن تكون هناك مفارقـــات، ولابـــد أن تكون هناك اختلافات، قد تكون اختلافات للطبائع، ولابد أن تكون هناك أخطاء، ولكنها لا توصلنا إلى خيانة أمانى الشعب العربى كله بضرب الوحـــدة العربيـــة والارتداد، كما مثّل هذا الدور مثلاً أكرم الحورانى وزملائه. الرجعية لها حـــق، الرجعية لم ترتد، طول عمرها أصلاً بتتحالف مع الاستعمار، أما اللـــى بينـــادى بالاشتراكية والوحدة والحرية فهو مرتد، المرتد طبعاً جريمته أقصى من جريمة الرجعى؛ لأن المرتد بيرتمى فى أحضان الرجعى علشان ينفذ أهدافه، ارتد عـــن الشعارات اللى رفعها الشعب، بيعمل لأهداف غير أهداف الشعب، بيصرف من فلوس غير فلوس الشعب لأن الرجعية حينما تجده ارتد بتأخذه فـــى أحضـــانها لتستخدمه سلاح ضد أمانى الشعب. مش جديد علينا دا أظن عمليـــات تكـــررت باستمرار، وكان الشعب العربى قادر على أن يفضح كل مرتد، وعلى أن يقضى عليه قضاء كامل.

وخسرنا فعلاً فى عام ٤٨ خسارة، ولكن انتم يمكن اللى قاسيتم منها، ولكن هذه الخسارة نبهت الشعب العربى فى كل بلد عربى وإلا كنا كلنا ضعنا؛ كانـــت القومية العربية كلها راحت وجت بدلها قومية صهيونية من النيل إلى الفـــرات، والعرب كانوا تفتتوا. انتم دفعتم الضريبة، انـــتم دفعـــتم، تمـــن كبيـــر علشـــان تصحونا.. علشان تصحوا الأمة العربية، والأمة العربية بالتالى عليهـــا واجـــب كبير نحوكم لتحقيق أهدافكم فى استعادة حقوقكم فى فلسطين.

حيحاول الاستعمار بكل الوسائل، وتحاول الصهيونية وتحاول الرجعية انها تفتت الأمة العربية؛ لأن الوحدة العربية هى السبيل الذى يمكنا مـــن أن نحقـــق هدفنا فى استعادة حقوقنا فى فلسطين. وحنلاقى السياسيين يتـــأجروا وسياســـيين

بيشتروهم بالفلوس؛ السياسيون اللى بيشتغلوا مستشارين عند بنك سوريا ولبنان الفرنساوى، والسياسيون اللى بيشتغلوا وكلاء لشركات أجنبية، والسياسيون اللى بياخدوا فلوس من الملك حسين أو الملك سعود؛ لأن الدهب بيستخدم من أجل الانفصال، لم يستخدم الدهب فى سنة ٤٨ علشان نجيب به أسلحة.. علشان شعب فلسطين يجيب به أسلحة، الدهب السعودى -اللى هو من حق الشعب السعودى- ما شفناهوش أبداً، ما اعرفش هل شوفتوه؟ هل جالكم دهب من الملك سعود دهب أسود واللا دهب أصفر علشان نشترى به سلاح؛ من أجل قضيتكم أو حتى علشان يساعد فى لم شعب فلسطين، تعليم أبناء شعب فلسطين؟! الدهب السعودى هو دهب بيصرف بالدسائس؛ الكسبرى قبض زى ما سمعتم ٧ مليون جنيه ونص، قبضتم انتم أد إيه؟ قبضوا شعب فلسطين.. قبض أد إيه من الملك سعود؟! الملك سعود دفع ٢ مليون جنيه لعبد الحميد السراج علشان يقتل جمال عبد الناصر، ما اعرفش ادفع إيه من أجل إعاشة، أو من أجل صحة أبناء شعب فلسطين؟! طبعاً مش ممكن الملوك.. الملك سعود أو الملك حسين بيقلبوا أعزة هذا الشعب أذلة، بل بالعكس الشعب العربى هو اللى حيقف، والشعب العربى ماحدش حيقدر يخلص عليه، هو اللى حيقدر يخلص على جميع أعدائه.

برضه بإن احنا نتمسك بالأخلاق.. نتمسك بالأخلاق والمبادئ، ولا ننحرف ولا نرتد كما انحرف وارتد أكرم الحورانى وزملاء أكرم الحورانى فى سوريا وأصبحوا أعداء لأهداف الشعب العربى والشعب السورى، وأصبحوا بيطلعوا بيانات بالفلوس، بيدفع تمن البيانات دى النهارده الملك سعود والملك حسين اللى بيعملوا بالتعاون مع قوى الاستعمار ضد أمانى الشعب العربى. إذًا علينا إن نعتمد على أنفسنا، أن نكشف كل من ينحرف وكل من يرتد، أن نصمم على ان احنا نبنى نفسنا، وأن ننتظر الوقت المناسب ونستعد لهذا الوقت المناسب، لا تأخذنا الأمانى الفارغة أو الآمال الكاذبة؛ لأن قضيتنا قضية صعبة عايزة جهد كبير. النهارده احنا ميزانيتنا فى مصر للقوات المسلحة اليوم ١٣٠ مليون جنيه، وكنا فى سنة ٥٢ حوالى ٥٠ مليون جنيه، ليه؟ لأن النهارده لازم نستعد

باستمرار أولاً لنحمى أنفسنا وحتى لا يتكرر ما حدث فى سنة ٤٨، وثانياً حتى نكون فى انتظار الوقت المناسب؛ حقوقنا لن نتنازل عنها بأى حال من الأحوال.

وأنا باذكر فى القرن الثانى عشر، حينما هاجم الاستعمار الصليبى هذه المنطقة واحتل القدس العرب ما نسيوش، قعدوا سبعين سنة واستردوا القدس.. استردوا بلدهم، وأنا على ثقة من هذا؛ أنا أما رحت نيويورك سنة ٦٠ وكنت فى البيت، وقالوا لى فيه عيلة فلسطينية.. راجل وزوجته وأولاده جم وجايين مسافرين من بلد تانية، فنزلت شفتهم فوجدت بنته مسكت فىَّ وقعدت تعيط وتقول فلسطين، وأنا طبطبت عليها وقلت لها إنتِ عندك كام سنة؟ قالت لى: عندى عشر سنين، ما اتولدتش فى فلسطين ولا شافتش فلسطين، اتولدت فى أمريكا ولكن كانت تبكى وتقول فلسطين؛ دى روحنا احنا العرب، علماً إنهم عايشين هناك يمكن حالة متيسرة، بيشتغل فى بلد قريبة من نيويورك، البنت ما شافتش فلسطين، ما قالتش انها أمريكانية أبداً، بتقول إنها عربية، بتقول فلسطين وبتبكى، اتولدت بعد ٤٨، اتولدت بره. دى خصائصنا احنا الشعب العربى؛ لن ننسى حقوقنا.. سبيلنا إلى هذا إن احنا نتحد ما نختلفش، كلكم بتبقوا يد واحدة؛ المجلس التشريعى.. المجلس التنفيذى.. الاتحاد القومى، أى خلاف على إيه؟ لن يصيبنا من هذا الخلاف إلا البلاء والضرر لأولادنا، فيه عندنا ولاد عايزين يتعلموا وأولاد عايزين وطن، أولاد عايزين نعلمهم المسئولية.

وكل واحد يضحى بجزء من نفسه فى سبيل إن احنا نتحد ونلم نفسنا ونلم الشعب الفلسطينى. المسئولية عليكم بتسافروا، بتروحوا كل بلد فيها فلسطينى، ما تستنوش احنا نقول لكم أو الحاكم يقول، بتتصرفوا وتاخدوا المبادأة وتاخدوا المسئولية.. تسافروا وتشتغلوا، تجمعوا أموال، بتقيموا مدارس، ما تعتمدوش على الإغاثة، الإغاثة حتيجى يوم وتنتهى، بتطلبوا أموال وبتبنوا وبتصنعوا وبتشتغلوا. احنا مستعدين - الشعب فى الجمهورية - أن يتعاون فى هذا، وبتطلبوا مننا وما تقولوش دى مساعدة، بتقولوا إن دا حق لكم وإن احنا مسئولين

إن احنا نديكم هذا الحق، وإن احنا ما بنتفضلش عليكم؛ لإنكم انتم ضـــحيتم فـــى سنة ٤٨ من أجل الأمة العربية كلها.

وتشتغلوا وتنطلقوا وبياخدوا كل الحرية فى الانطلاق؛ من أجل أولادكم ومن أجل هدفكم السامى الكبير، مش من أجل أشخاصكم. احنا علينا مسئولية كبرى، يعنى لازم الواحد يقعد يشتغل ٢٤ ساعة إذا كان عايز يحقق الكلام اللى قلناه فى خطبنا؛ حقوق فلسطين عايزة ٢٤ ساعة، وعايزة ٢٤ ساعة، وعايزة مـــن كـــل واحد منكم ٢٤ ساعة شغل، عايزة كل واحد يحط إيده فى إيد التانى، دا الســـبيل الوحيد ما نضحكش على نفسنا، بنستعد تطلعوا تلمـــوا الفلســـطينيين، بتقولـــوا عايزين الكيان الفلسطينى.. ناس منكم تطلع بتروح كل بلـــد فيهـــا فلســـطينيين وبيتصلوا بالفلسطينيين، بتعملوا من أجل قضيتكم ومن أجل قضيتهم ومن أجـــل أولادكم ومن أجل أولادهم، بتشركوهم معاكم.. فيه خلافات بين الفلسطينيين، أنا باعرف بره.. بتقضوا على هذه الخلافات، لازم توحدوهم مش علشان جمال عبد الناصر أبداً، علشان فلسطين وعلشان ولاده وعلشان ولادك. اللى يستخدم هـــذه القضية علشان موضوع شخصى بيبقى طبعاً خرج عـــن المبـــادئ الأخلاقيـــة، وخرج عن الأهداف؛ لأن قضية فلسطين لا يمكن أن تستخدم من أجل أهـــداف سياسية ومن أجل أهداف شخصية. وأنا باقول لكم أصعب قضـــية فـــى العـــالم النهارده هى قضيتكم.. اللى بيجى ويقول إن أنا وضعت خطط علشان أحلها والله بيضحك عليكم، ما باقولكوش أنا لا عندى خطط.. عندى قوة من ربنا وإيمـــان بحقنا، وأنا باعتبر دا أكبر شىء وأمل فى المستقبل وأمل فيكم، ما اقدرش أقول إن أنا عندى خطة لتحرير فلسطين، لو باقول لكم دلوقت أنا عندى خطة لتحرير فلسطين أبقى بضحك عليكم وبقيت سياسى ما أناش وطنى بتاجر فى السياســـة. أى واحد النهارده بيقول عنده خطة لتحرير فلسطين يبقى بيضحك علـــيكم، أنـــا باقول لكم قدامنا قضية صعبة.. قدمنا قضية معقدة، عايزة نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية؛ القوى المعنوية أساسها الأخلاق وأساسها الوحدة؛ وحدة الكلمة

ووحدة الصف، القوى المادية ربنا بيقدرنا واحنا بنعمل كل ما يمكن عمله فى هذا السبيل علشان لا نصاب كما أصبنا فى سنة ٤٨.

احنا فى سنة ٥٦ تعرضنا لعدوان إنجليزى - فرنسى - إسرائيلى، وأنا لم أتردد فى سنة ٥٦ إنى أبعت أوامرى للقائد فى غزة إنه ما يقاومش وإن قوتنا انسحبت من سيناء، لأن واجبى كان يحتم على هذا، كنت عايز... الموقف العسكرى حتم على أن أصدر قرار بسحب الجيش المصرى من سيناء إلى غرب القنال وبسيب أهل العريش وأهل غزة وأهل الطور كلهم؛ إذًا باقوله ما تقاتلش علشان أجنب قطاع غزة ويلات القتال اللى مالوش هدف عسكرى، فى خان يونس قاتلوا، بعض المناطق الأخرى قاتلوا، كانت احنا خطتنا اللى نتجت عن هذا إنهم ما يقاتلوش، كان موجود أظن العجرودى هناك فى خان يونس فى هذا الوقت؟ ولكن أوامرنا كانت عدم القتال والجزء دا يسلم؛ لأن أصبح الواجب يحتم علينا هذا.

الحرب هى دفاع وانسحاب وهجوم، القائد الشاطر يعرف امتى يهجم وامتى ينسحب، أما لو فرضت عليه الظروف إنه ينسحب وهجم، يصبح قائد بلا جنود لأنه حيودى جيشه كله فى داهية؛ بيبقى ما أفادش ولا أفادش بلده.

احنا بالنسبة لهذه القضايا يجب ان احنا نعرف امتى بنقف وامتى بنهجم امتى ننسحب ولكن فى كل هذه الحالات لازم نستعد ونستعد باستمرار، ونقوى نفسنا مادياً ومعنوياً، إن شاء ربنا يوفق العرب.

وحدة العرب هى أساس كبير، دا الوحدة العسكرية اللى اتعملت فى سنة ٥٦.. القيادة المشتركة اللى بين سوريا والأردن ومصر وقف "بن جورون" وقال هذه القيادة حطت إسرائيل كالبندقة فى داخل كسارة البندق، يمكن سمعتوا هذا الكلام وقاله فى الكنيست.

بس القيادة العسكرية الموحدة، فما بالنا بوحدة الأمة العربية والشعوب العربية؟ طبعاً بالانفصال النهارده بيقدروا يستخدموا الملك حسين، بيقدروا

يستخدموا الملك سعود، بيقدروا يستخدموا التفرقة الطائفية، بيقدروا يستخدموا الرجعية، بيقدروا يستخدموا تجار السياسة، بيقدروا يستفيدوا من مواقف ناس كمواقف أكرم الحورانى فى تفتيت الشعب العربى.

أما الوحدة فهى سبيلنا الوحيد، أو سبيلنا الرئيسى من أن نحمى قوميتنا ثم نستعيد أيضاً حقوقنا، وربنا يوفقكم، ونؤمن دائماً إن قضيتنا هى قضية الحق، وربنا حيؤيدنا، ولكن ربنا بيأيدنا إذا استعدينا وإذا أعددنا كل قوانا المادية والمعنوية، وإذا اتحدنا، وإذا أنكرنا ذاتنا وأنكرنا نفسنا، وإذا تفانينا من أجل أولادنا اللى النهارده، يمكن مستقبلهم ماهواش واضح ولا باين.

إذا عملنا دا كله وفهمنا المسئولية اللى علينا، بيساعدنا علشان نحقق أملنا فى تحرير فلسطين، واستعادة حقوق شعب فلسطين. وربنا يوفقكم.